جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة بالمنوفية

النفس معناها وقواها بين القرآن الكريم والفكر الشرقي القديم والفلسفة

إعداد الدكتور

أحمد محمد علي حسين

المدرس بقسم العقيدة والفلسفة - كلية أصول الدين والدعوة
جامعة الأزهر – فرع المنصورة

النفس معناها وقواها
بين القرآن الكريم والفكر الشرقي القديم والفلسفة

أحمد محمد علي حسين
قسم العقيدة والفلسفة كلية أصول الدين والدعوة جامعة الأزهر، فرع المنصورة، مصر
البريد الإلكتروني: .Ahmedhesseine910.el@azhar.edueg

الملخص:

تطرق البحث إلى: تعريف النفس من ناحية اللغة وما يدور حولها من معاني، ثم تحدث البحث عن إطلاقات النفس في القرآن الكريم وأقسامها، ثم تكلم البحث عن طبيعة النفس عند قدماء المصريين ومصيرها، ودواعي اهتمام الفرس بالنفس، كما تحدث عن قوى النفس ووظائفها عند فلاسفة اليونان (سقراط وأرسطو)، وبيان قوى النفس عند فلاسفة المسلمين (الكندي)، ومما يبين أهمية هذا البحث محاولة التعرف على النفس الإنسانية من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مسترشدين بآراء العلماء، وفلاسفة اليونان ومن تلاهم من فلاسفة المسلمين.

ومن النتائج التي توصلت إليها: بيّن القرآن الكريم أن النفس عندما تصل لمرتبة اللوامة يصبح الإنسان صاحب ضمير يقظ عندما يخالف منهج الله أو يقصر في طاعة الله، إن الحديث عن النفس الإنسانية والاهتمام بها لم تختص به أمة دون أمة، أو عصر دون عصر، بل هو سمة عامة للشعوب كلها فما من شعب إلا وبحث عن تلك القوة التي تسكن داخل الإنسان وهي مصدر أفعاله وحركاته.

الكلمات المفتاحية: النفس، القرآن الكريم، الشرق القديم، الفلسفة.

The Soul is its Meaning and its Powers Between the Holy Quran and Ancient Oriental Thought and Philosophy

Ahmed Mohamed Ali Hussein

Department of Doctrine and Philosophy, Faculty of Fundamentals of Religion and Da`wah, Al-Azhar University, Mansoura Branch, Egypt

Email: Ahmedhesseine910.el@azhar.edueg.

Abstract

The research dealt with the definition of the soul in terms of language and the meanings that revolve around it, then the research talked about the releases of the soul in the Holy Qur'an and its divisions. (Socrates and Aristotle), and Ian the Powers of the Soul among Muslim Philosophers (Al-Kindi), and what shows the importance of this research is the attempt to identify the human soul through the Holy Qur'an and the Sunnah of the Prophet, guided by the opinions of scholars, Greek philosophers and those who followed them from among the Muslim philosophers.

Among the findings: The Holy Qur'an showed that when the soul reaches the rank of blame, a person becomes the owner of a vigilant conscience when he violates God's methodology or fails to obey God. There is no people but a search for that power that dwells within man and is the source of his actions and movements.

Keywords: The Soul, the Holy Quran, the Ancient East, Philosophy.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،،

فإن البحث في النفس من المسائل التي شغلت تفكير البشرية على مر العصور، فقد اهتم الكثير من الحكماء والباحثين قديمًا وحديثًا بالبحث في النفس وفيما يتعلق بوجودها وبقائها وقواها ومصيرها بعد الموت والبرهنة على ذلك نقليًا وعقليًا، كما أقسم الله (ﷻ) بها في قوله تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا** ﴾[1]، وهذا دليل على عظمتها وشرف قدرها مما جعل المفكرين القدامى والمحدثين يؤمنون بأنها مبعث الحياة وأنها مصدر الإدراك، كما أن البحث الديني أيضًا يتوقف على وجود النفوس الإنسانية فهي عند البحث الديني موطن الإيمان ومناط التكليف والمسئولية، لذلك خاطبتها الأديان والشرائع قبل أن تخاطب الأبدان وبشرتها بالثواب ونفرتها من العقاب دون أن تتجه إلى الأجساد، وهذا دليل على وجوها وثبوتها؛ لأن خطابات الأديان والشرائع لا تتوجه إلى معدوم بل إلى موجود.

كما أن معرفة النفس تقودنا إلى معرفة الخالق (ﷻ) الذي خلقها وسواها وأحسن صورها.

بمعنى أنه من لم يعرف نفسه لا يستطيع أن يعرف ربه؛ لأنه إذا جهل معرفة الخلق فإنه يجهل معرفة الخالق.

---

(١) سورة الشمس الآية: ٧.

إشكالية البحث:

يدور هذا البحث حول معرفة النفس الإنسانية من خلال عرض القرآن الكريم لها وتقسيمها.

كما يتعرض لدواعي اهتمام الفكر الشرقي القديم بالنفس الإنسانية ومصيرها.

وكذا بيان قوى النفس ووظائفها عند فلاسفة اليونان ومن تلاهم من فلاسفة الإسلام.

فجاءت الدراسة تجيب عن الأسئلة التالية:

١- تعريف النفس وما يدور حولها من معاني؟

٢- ما إطلاقات النفس في القرآن الكريم؟

٣- هل النفس والروح شيء واحد أو أنهما متغايران؟

وتكمن أهمية الموضوع وأسباب اختياري له في الآتي:

١- بيان وجه الخلاف بين العلماء في النفس الإنسانية هل هي الروح أم غيرها.

٢- بيان ومعرفة قوى النفس الإنسانية من خلال القرآن الكريم وأقوال العلماء.

٣- عرض حقيقة واقعية للنفس بإقامة الشواهد عليها من القرآن الكريم ومن مقولات الفكر الشرقي القديم ومن قادة الفكر اليوناني ومن تلاهم من فلا سفة الإسلام.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى ما يأتي:

١- الاهتمام بتعريف النفس الإنسانية من ناحية اللغة وما يدور حولها من معاني أخرى.

٢- إبراز ما وضحه القرآن الكريم من خلال تقسيمه للنفس الإنسانية.

٣- الوقوف على ما توصل إليه الفكر الشرقي القديم من معرفة قوى النفس الإنسانية ومصيرها.

٤- بيان ومعرفة قوى النفس عند فلاسفة اليونان ومن تلاهم من فلاسفة الإسلام.

منهج البحث:

١- الالتزام بالمنهج الاستقرائي عن طريقة قراءة النصوص من المصادر والمراجع التي تهتم بموضوع البحث.

٢- الاعتناء بالمنهج التحليلي عن طريق عرض الآراء والنصوص التي ترتبط بالمسائل المعروضة في ثنايا البحث.

٣- سوف أقوم إن شاء الله تعالى بتوثيق آيات القرآن الكريم وعزو كل آية إلى سورتها التي وردت فيها، وأما الأحاديث النبوية الشريفة فسوف أقوم بتخريجها من المصادر التي وردت فيها، أما النصوص الأخرى فسوف أقوم بعزو كل نص إلى مصدره الذي ورد فيه، وذلك عن طريق استخدام المكتبات العلمية للكتب والمراجع التي تهتم بموضوع البحث.

لذا بتوفيق من الله تعالى اخترت هذا البحث والذي أتى بعنوان:

[النفس معناها وقواها بين القرآن الكريم والفكر الشرقي القديم والفلسفة]

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

أما المقدمة تحدث فيها عن أهمية الموضوع وسبب اختياري له وخطة البحث.

وأما التمهيد فقد خصصته عن تعريف النفس في اللغة وما يدور حولها من معاني.

- **الفصل الأول: النفس في القرآن الكريم.**

ويشتمل على مبحثين.

المبحث الأول: معنى النفس كما جاءت في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: تقسيم القرآن الكريم للنفس.

- **الفصل الثاني: النفس والروح.**

ويشتمل على ثلاث مباحث.

المبحث الأول: هل النفس والروح شيء واحد أو أنهما متغايران.

المبحث الثاني: قدم النفس وحدوثها.

المبحث الثالث: بقاء النفس.

- **الفصل الثالث: النفس بين الفكر الشرقي القديم والفلسفة.**

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: النفس في الفكر الشرقي القديم.

المبحث الثاني: النفس عند فلاسفة اليونان.

المبحث الثالث: النفس عند فلاسفة المسلمين.

الخاتمة: وقد ضمنتها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

والله أسأل أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والسداد إنه سميع قريب مجيب الدعاء

التَّمْهِيد

تعريف النفس في اللغة وما يدور حولها من معاني

أولا: النفس في اللغة.

اللغة العربية هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** ﴾[1]، لما كان موضوع بحثى النفس معناها وقواها بين القرآن الكريم والفكر الشرقي القديم والفلسفة، كان لابد من الإحاطة بمدلولات كلمة النفس فى اللغة قبل الدخول في جوهر الموضوع.

فقد ذكرت النفس في اللغة على معاني عدة كلها ترجع إلى قاموس اللغة، وتدور حول معنيين: **حقيقي ومجازي.**

المعنى الحقيق:

ويشتمل على ما يلى:

(١) **الروح، فيقال:** (خرجت نفسه) أي روحه[2]. وهي التى بها الحياة، والتي إذا فارقت الجسم نزل به الموت، وهي باقية ما بقى في الجسم نفس.

وقال أبو إسحاق في أحد قولي العرب: خرجت نفسه، أى روحه.

وقال أبو خراش:

نَجَا سالِمٌ والنَّفْس مِنْه بِشِدقِهِ ** ولم يَنْجُ إلا جَفْنَ سَيفٍ ومِئْزَرَا[3].

---

(١) سورة الشعراء الآيات: ١٩٣ – ١٩٥.

(٢) مختار الصحاح، للإمام الرازي صـ٣٠٤، دراسة تقديم عبد الفتاح البركاوي، ط/دار المنار.

(٣) لسان العرب، لجمال الدين بن منظور، جـ٦/صـ٤٥٠ وما بعدها تحقيق عبد الله علي=

ومنه قولهم: فاضت نفسه، أي روحه، وجاد بنفسه، أى مات. وقال ابن خالويه: النفس الروح.

كما جاء في التعريفات للجرجاني حيث قال: (الروح الإنساني: هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان الراكبة على الروح الحيواني نازل من عالم الأمر، تعجز العقول عن إدراك كنهه، وتلك الروح قد تكون مجردة، وقد تكون منطبقة في البدن)[١].

(٢) ذات الشيء أى عينه وشاهده رأيت فلاناً نفسه[٢]. وجاءني الملك نفسه[٣].

المعنى المجازى للنفس:

ويشتمل على ما يلى:

(١) **الدم:** ويدل على ذلك قول السموأل:

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَّاتِ نُفُوسُنَا ** ولَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الظُّبَاتِ تَسِيلُ[٤].

والمراد بالنفوس في البيت: الدماء، وإنما سمي الدم نفساً: لأن النفس تخرج بخروجه[٥].

=الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، الشعر، لحذيفة بن أنس الهذلي وليس لأبي خراش كما زعم الجوهري من شرح أشعار الهزليين للسكرى جـ٢/صـ٥٥٨، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٦٥م.

(١) التعريفات، للشريف على بن محمد الجرجاني، باب الراء صـ١١٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٢) لسان العرب، لابن منظور جـ٧/ صـ١٢٠، المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣٠١هـ.

(٣) نفس المرجع السابق.

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي، تحقيق: عبد الحليم الطحاوي جـ٥/صـ٩٨، ط/المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣١٢هـ/١٩٩٢م.

(٥) المعجم الوجيز معجم اللغة العربية صـ٦٢٧، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، سنة ١٩٩٤م.

(٢) **العقل**: وهو معنى في الإنسان به التميز والإدراك والإحساس لما يحيط به، وهذا المعنى يلازمه في اليقظة ويفارقه في النوم، حيث يغيب وعيه، قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[١].

فالنفس الأولى هي التي تزول بزوالها الحياة. والنفس الثانية هي التي تزول بزوال العقل.

قال الزجاج[٢]: (لكل إنسان نفسان: إحداهما نفس التمييز وهي التي تفارقه إذا نام، فلا يعقل بها يتوفاها الله كما قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا** ﴾[٣]، والأخرى نفس الحياة وإذا زالت زال معها النفس، والنائم يتنفس، وهذا هو الفرق بين نفس النائم في النوم، وتوفي نفس الحي، ونفس الحياة هي الروح.

وجاء في التعريفات للجرجاني: (النفس: من الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية.. فهو جوهر مشرق للبدن، فعند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن، وأما في وقت النوم فينقطع عن ظاهر البدن دون باطنه فثبت أن النوم والموت من جنس واحد لأن الموت هو الانقطاع الكلي والنوم هو الانقطاع الناقص، فثبت أن القادر الحكيم دبر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أضرب: الأول: إن بلغ ضوء النفس إلى جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه، فهو اليقظة، وإن انقطع ضوؤها عن ظاهره دون باطنه، فهو النوم

---

(١) سورة الزمر الآية: ٤٢.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، شرح وتعليق د. عبد الجليل عبده شلبي جـ٥/صـ٣٥٦، عالم الكتب، بيروت، ط ١٤٠٨/١هـ/١٩٨٨م.

(٣) سورة الزمر الآية: ٤٢.

أو بالكلية فهو الموت[١].

واختلفوا في النفس هل هي الروح أم غيرها. فقال كثير من الناس: إن الروح شيء غير النفس. وقال آخرون: بل هما شيء واحد.

واختلفوا هل نفوس بني آدم جنس من نفوس الحيوان أم لا؟.

فقال كثير من الناس: إن نفوس بني آدم جنس ونفوس البهائم جنس آخر، وأن ملك الموت يتولى قبض أنفس بني آدم. وأما جميع البهائم فإنها تموت بفناء أنفسها.

وزعم آخرون: "أن النفوس كلها جنس واحد، وأن موت جميع الحيوانات يتولاه ملك الموت في قبض الأنفس"[٢].

(٣) **العين:** وجاءت بمعنى العين وهى التي تصيب المعين وهو مجاز يقال نفسته بنفس أي أصابته بعين. وأصابت فلانا نفس أي عين وجاء في الحديث الذي أخرجه أبو داود بسنده عن الرباب قالت: سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ حُنَيفٍ يَقُولُ: مَرَرْنَا بِسَيْلٍ فَدَخَلْتُ فَاغْتَسَلْتُ فِيهِ فَخَرَجْتُ مَحْمُومًا فَنُمِيَ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالَ: « مُرُوا أَبَا ثَابِتٍ يَتَعَوَّذُ »، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي وَالرُّقَى صَالِحَةٌ، فَقَالَ: «لَا رُقْيَةَ إِلَّا فِي نَفْسٍ أَوْ حُمَةٍ أَوْ لَدْغَةٍ »[٣].

---

(١) التعريفات للشريف علي بن محمد الجرجاني، باب النون صـ٢٤٢، ٢٤٣. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان. ط٣/ ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٢) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لجمال الدين أبي الفرج الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، صـ٥٩٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٣) سنن أبي داود. للأمام سليمان بن الأشعث أبو داود الساجستاني، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقى جـ٤/صـ١١، حديث رقم (٣٨٨٨)، ط/دار إحياء التراث العربي ببيروت، بدون تاريخ، ورواه الإمام أحمد في المسند جـ٣ / صـ٤٨٦، ط/ دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ، ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين لأبو عبد الله الحاكم=

(٤) **وجاءت بمعنى الأخ:** يشهد له قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً**﴾[١].

(٥) **وجاءت بمعنى العند والغيب:** يشهد له قوله تعالى حكاية عن عيسى (عليه السلام): ﴿**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**﴾[٢]. أي تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك.

(٦) وجاءت بمعنى الإنسان كله[٣] روحه وجسده كقولهم عندي ثلاثة أنفس، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ**﴾[٤].

(٧) وجاءت بمعنى العظمة والكبر والعزة والأنفة والإرادة والعقوبة، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ** ﴾[٥]. أي: عقوبته.

ومما سبق وبعد هذا التوضيح لمعاني النفس وإطلاقها في اللغة يتضح لنا أن للنفس إطلاقات شتى ومعاني متعددة، منها ما هو حقيقي كإطلاقها على ذات الشيء وحقيقته، ومنها ما هو مجازي كالدم والعين والعقل وغيرها.

=محمد بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم النيسابوري/ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، كتاب الرقى والتمائم، باب علاج اللدغة والرقى جـ٤/صـ٤١٣، وقال عنه: حديث صحيح الإسناد.

(١) سورة النور الآية: ٦١.

(٢) سورة المائدة الآية: ١١٦.

(٣) خصائص النفس الإنسانية في القرآن، د. جبر عز الرجال جـ١/صـ٢١، مكتبة الإيمان بالمنصورة.

(٤) سورة الزمر الآية: ٥٦.

(٥) سورة آل عمران الآية: ٢٨.

الفصل الأول

النفس في القرآن الكريم

ويشتمل على مبحثين.

المبحث الأول: معنى النفس كما جاءت في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: تقسيم القرآن الكريم للنفس.

المبحث الأول
معنى النفس كما جاءت في القرآن الكريم

قبل أن أبدأ حديثي عن النفس في القرآن الكريم، لابد أن نتناول أمرين:

(١) ورود كلمة النفس في القرآن الكريم ومشتقاتها، ثم إطلاقاتها في الكتاب العزيز.

أولاً: معنى كلمة النفس ومشتقاتها في القرآن الكريم.

إن المستقرئ لألفاظ القرآن الكريم يجد أن النفس من الألفاظ المشتركة مثلها مثل كثير من الكلمات التي وردت بمعاني متعددة كالإيمان والكفر والهدى والضلال والسلم والحرب ... الخ – وقد ذكرت كلمة النفس في القرآن نحو ما يقرب من ثلاثمائة مرة تقريباً في أكثر من أربعين سورة من القرآن الكريم، وقد وردت بصيغ الإفراد والجمع والإضافة بأنواعها.

١– فقد جاءت بصيغة المفرد نكرة في خمس وستين موضعاً منها:

في قوله تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا** ﴾(١).

وجاءت معرفة بأل في تسعة مواضع، منها في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ** ﴾(٢).

٢– وجاءت بصيغة الجمع على صورتين:

– معرفة بالإضافة مثل: نفوس، أنفس.

– معرفة بأل.

(أ) (نفوس) وقد وردت مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **رَبُّكُمْ**

(١) سورة البقرة الآية: ٤٨.

(٢) سورة الإسراء الآية: ٣٣.

أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾[1].

(ب) (أنفس) في مثل قوله تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾[2]. ويلاحظ أنه عند ورودها بصيغة الجمع لم تأت إلا مقترنة بأل أو مضافة.

وذكرت معرفة بأل مرة واحدة في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ**﴾[3].

٣- أما ذكرها في القرآن الكريم مضافة فجاءت متنوعة:

(أ) مضافة إلي ضمير المتكلم المفرد في ثلاثة عشر موضعاً منها في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ** ﴾[4].

(ب) مضافة إلي ضمير المتكلم جمعاً في ثلاثة مواضع كما في قوله تعالى: ﴿ **قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾[5].

(جـ) مضافة إلي ضمير المخاطب مفرداً في عشرة مواضع كما في قوله جل شأنه: ﴿ **مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا** ﴾[6].

(د) مضافة إلي ضمير المخاطب جمعاً في خمسين موضعاً منها قوله تعالى:

---

(١) سورة الإسراء الآية: ٢٥.

(٢) سورة البقرة الآية: ٤٤.

(٣) سورة التكوير الآية: ٧.

(٤) سورة المائدة الآية: ٢٥.

(٥) سورة الأعراف الآية: ٢٣.

(٦) سورة النساء الآية: ٧٩.

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[١].

(هـ) مضافة إلي ضمير الغائب مفرداً في أربعين موضعاً:

منها قوله تعالى: ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾[٢].

ومؤنثاً في موضعين منها: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[٣].

(و) مضافة إلي ضمير الغائب جمعاً مذكراً في واحد وتسعين موضعاً، منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[٤].

ومؤنثاً في أربعة مواضع منها: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٥].

وهكذا دارت كلمة النفس ومشتقاتها في القرآن الكريم بين الجمع والإفراد والتنكير والتعريف والإضافة إلي الضمائر بأنواعها[٦].

ثانياً: إطلاقات النفس في القرآن الكريم.

إن المتتبع لألفاظ النفس في القرآن الكريم يدرك أنها جاءت بمعان متعددة، منها:

(١) تطلق النفس في القرآن ويراد بها الذات الإلهية المقدسة كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ

(١) سورة البقرة الآية: ٤٤.

(٢) سور القيامة الآية: ١٤.

(٣) سورة النحل الآية: ١١١.

(٤) سورة النساء الآية: ٤٩.

(٥) سورة البقرة الآية: ٢٤٠.

(٦) معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، مادة نفس.

لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿ **وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾**[2].

فالآية الأولى ناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع خلقه، والآية الثانية تعم المؤمنين، وهذا تبشير بسعة رحمته تعالى بنيل المطالب من العفو والمغفرة وقبول التوبة والإنابة.

قال الألوسي[3] **في معرض حديثه في تفسير هذه الآية:** وإطلاق النفس عليه تعالى بالمعنى الذي أراده جائز من غير مشاكلة على الصحيح، وقال في موضع آخر: وفي التعبير عن الذات بالنفس رد على من زعم أن لفظة النفس لا تطلق على الله تعالى وإن أريد به الذات إلا مشاكلة[4].

ويقول صاحب تفسير المنار: المعنى أن الله تعالى الذي تقرون معي بان له ما في السموات والأرض قد أوجب على ذاته العلية الرحمة بخلقه[5].

مما سبق يتضح أنه لا يمتنع إطلاق النفس على ذات الله تعالى.

(٢) تطلق النفس في القرآن ويراد بها الذات الإنسانية ككائن حي متكامل كما

---

(١) سورة الأنعام الآية: ١٢.

(٢) سورة الأنعام الآية: ٥٤.

(٣) هو: محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي شهاب الدين أبو الثناء، مفسر ومحدث وأديب، ولد ببغداد (١٢٧٠هـ) [انظر: الأعلام للزركلي جـ١/صـ١٧٦، دار العلم للملايين، ط٦/سنة ١٩٨٤م].

(٤) روح المعاني، لمحمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المجلد الخامس، الجزء السابع صـ١٥٢، دار الفكر للطباعة والتوزيع ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٥) تفسير المنار، محمد رشيد رضا جـ٧/صـ٢٣٥، ط/دار المعرفة.

في قوله تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾[1].

فقد أجمع المفسرون على أن المراد من النفس في الآية الكريمة الذات البشرية[2]. وقد يقصد بالنفس أشخاص بأعيانهم كما في قوله تعالى عن يوسف (عليه السلام): ﴿ **قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي**﴾[3]. فالمقصود شخص معين بذاته هو يوسف (عليه السلام).

(٣) تطلق النفس في القرآن الكريم ويراد بها الدلالة على أصل الإنسان وهو آدم (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً** ﴾[4].

قال الرازي: أجمع المسلمون على أن المراد بالنفس الواحدة هنا هو آدم (عليه السلام)، إلا أنه أنث الوصف على لفظ النفس[5]. ونظيره قوله تعالى: ﴿ **قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ**﴾[6].

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٥٥.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري صـ٤١، ط/دار الفكر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ تأليف: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي جـ١/صـ١٠٤، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون.

(٣) سورة يوسف الآية: ٢٦.

(٤) سورة النساء الآية: ١.

(٥) مفاتيح الغيب التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي الرازي جـ٩/صـ١٦٦/ دار الكتب العلمية/ بيروت – لبنان ط أولى ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

(٦) سورة الكهف الآية: ٧٤.

(٤) تطلق النفس في القرآن الكريم ويراد بها الروح التي هي عماد الحياة البدنية وبها يحيى الكائن الحي وبدونها يفقد حياته كما في قوله تعالى: ﴿ **فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ** ﴾[١]. فقوله تعالى: ﴿**وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ** ﴾ أصل الزهوق الخروج بصعوبة، أي وتخرج أرواحهم فيموتون وهم كفرة لاهين بالتمتع عن النظر في العاقبة فهم يموتون على الكفر الذي يحبط العمل الصالح وستخرج أرواحهم بشدة وعنف وصعوبة وألم[٢].

(٥) تطلق النفس في القرآن الكريم ويراد بها الجنس، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** ﴾[٣]. فقوله تعالى: ﴿ **مِنْ أَنْفُسِهِمْ** ﴾ أي: من نسبهم، وقيل: ﴿ **مِنْ أَنْفُسِهِمْ** ﴾ أي: من جنسهم.

(٦) تطلق النفس في القرآن الكريم ويراد بها: الغيب والعند والقلب كما في قوله تعالى: ﴿ **تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ** ﴾[٤].

قال الجمل[٥]: (والمراد بالنفس هناك على ما قاله الزجاج أنها تطلق ويراد بها

---

(١) سورة التوبة الآية: ٥٥.

(٢) انظر: روح المعاني للألوسي جـ١٠/صـ١١٧، ١١٨، الأساس في التفسير، لسعيد حوى جـ٣/صـ٢٤٠/ دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٦٤.

(٤) سورة المائدة الآية: ١١٦.

(٥) هو: سليمان بن عمر العجيلي الأزهري المعروف بالجمل، قاضي من قرى الغربية بمصر، توفي سنة ١٢٠٤هـ [انظر: الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي جـ٣/صـ١٣١]/ دار العلم للملايين- بيروت.

حقيقة الشيء والمعنى في قوله تعالى: ﴿ **تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي** ﴾ واضح، أي تعلم ما أخفيه من سرى وغيبتي، أي ما غاب ولم أظهره ولا أعلم ما تخفيه أنت ولا تطلعنا عليه(١)، ففي النفس مقابلة وازدواج، وهذا منتزع من قول ابن عباس، وعليه حام الزمخشري، فإنه قال: تعلم معلومى ولا أعلم معلومك، وأتى بقوله: ﴿**مَا فِي نَفْسِكَ** ﴾ على جهة المقابلة والمشاكلة لقوله: ﴿ **مَا فِي نَفْسِي** ﴾ فهو كقوله: ﴿**وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ الله** ﴾، وكقوله: ﴿ **إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ. اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ** ﴾(٢).

(٧) وقال بعض العلماء: تطلق النفس في القرآن الكريم ويراد بها:

(أ) القلب كما قال تعالى: ﴿ **إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ** ﴾(٣). يعني القلوب.

وهنا نجد صاحب كتاب (الأشباه والنظائر في القرآن الكريم) يقول: (تفسير الأنفس على ستة وجوه: فوجه منها: الأنفس يعني القلوب – كما في تفسير هذه الآية – وقال في يوسف: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي** ﴾(٤). يعني قلبي، وقال في (ق): ﴿**وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ** ﴾(٥)، يعني قلبه، وقال في بني إسرائيل: ﴿ **رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ** ﴾(٦)، يعني قلوبكم)(٧).

---

(١) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، للإمام سليمان بن عمر العجيلي جـ١/ صـ٥٤٥، ط/دار المنار، القاهرة.

(٢) حاشية الجمل على الجلالين، للشيخ سليمان الجمل ٥٤٧/١، الناشر/ المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ، بدون.

(٣) سورة النجم الآية: ٢٣.

(٤) سورة يوسف الآية: ٥٣.

(٥) سورة ق الآية: ١٦.

(٦) سورة الإسراء الآية: ٢٥.

(٧) كتاب الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، لمقاتل بن سليمان، دراسة وتحقيق د. عبد الله محمود شحاتة صـ٢٧٠، ط/الهيئة المصرية للكتاب، بدون.

(ب) الأم كقوله تعالى: ﴿ **ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا** ﴾[١]، أي: بأمهاتهم. والمراد بالآية عائشة (رضي الله عنها)[٢].

(جـ) الجماعة كقوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ** ﴾[٣].

يقول الرازي في تفسير هذه الآية: ﴿ **مِنْ أَنْفُسِكُمْ** ﴾: (أي من العرب. قال ابن عباس: ليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدت النبي (عليه السلام) بسبب الجدات، مضرها وربيعها ويمانيها، فالمضريون والربيعيون هم العدنانية، واليمانيون هم القحطانية)[٤].

د) البعض ومنه قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ** ﴾[٥].

لقد ذكر الرازي عند تفسيره لهذه الآية بأن المراد: (يقتل بعضكم بعضا، وقتل البعض للبعض قد يقال فيه قتل للنفس إذ كان الكل بمنزلة النفس)[٦].

ويقول في موضع آخر: (إن المراد من قوله: ﴿ **بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾ فيه وجهان:

الأول: المراد أن يظن بعضهم ببعض خيراً ونظيره قوله: ﴿ **وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ** ﴾[٧]، وقوله: ﴿ **فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ** ﴾[٨]، وقوله: ﴿ **فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ** ﴾[٩]، ومعناه: أي أمثالكم من المؤمنين الذين هم كأنفسكم....

---

(١) سورة النور الآية: ١٢.

(٢) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي، دراسة وتحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي صـ٥٩٦، ط/مؤسسة الرسالة، بدون.

(٣) سورة التوبة الآية: ١٢٨.

(٤) مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، م ٨/جـ١٦/صـ١٨٧.

(٥) سورة البقرة الآية: ٨٥.

(٦) مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، م ٢/جـ٣/صـ١٥٦، ١٥٧.

(٧) سورة الحجرات الآية: ١١.

(٨) سورة البقرة الآية: ٥٤.

(٩) سورة النور الآية: ٦١.

والثاني: أنه جعل المؤمنين كالنفس الواحدة فيما يجري عليها من الأمور، فإذا جرى على أحدهم مكروه فكأنه جرى على جميعهم)[1].

(١) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين الرازي م ١٢/جـ٢٣ /صـ١٥٤، ١٥٥، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١/١٤١١هـ/١٩٩٠م، مجمع البيان في تفسير القرآن للإمام الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي/ خرج حواشيه وشواهده/ إبراهيم شمس الدين جـ٧/صـ١٨٣، ١٨٤، منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية، بيروت، بنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

المبحث الثاني
تقسيم القرآن الكريم للنفس

أقسام النفس في القرآن الكريم:

إن المتأمل في القرآن الكريم يرى فصلاً واضحاً بين النفس والروح، فالنفس أنواع شتى، فهي خاضعة للتطور والتكيف والتخلق(١).

أما الروح فهي (جوهر الخلود والوجود الحاكمة على الكيان الإنساني كله جسداً ونفساً وعقلاً)(٢).

وحديث القرآن الكريم عن النفس هو القول الفصل في الموضوع، فليس بعد كلام الله (ﷻ) كلام.

للنفس عدة صفات ذكر الله (ﷻ) ثلاثاً منها في كتابه الكريم وهي:

الأمارة: قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾(٣). وهي أرذلها.

واللومة: قال الله تعالى: ﴿ **لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ** ﴾(٤). وهي أوسطها.

والمطمئنة: قال تعالى:﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً**﴾(٥). وهي أشرفها.

أما الأمارة فهي الموافقة للشهوات الشيطانية التي ينشأ عنها جميع

---

(١) أضواء على النفس البشرية، د. عبد العزيز جادو صـ١٨٠، دار المعارف، القاهرة.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سورة يوسف الآية: ٥٣

(٤) سورة القيامة الآيتان: ١، ٢.

(٥) سورة الفجر الآيتان: ٢٧، ٢٨.

الأفعال الذميمة، وهي التي تدعو صاحبها إلي اقتراف الذنوب والآثام وتحرضه على الانحراف والفجور وتدفع به إلي مهاوى الضلال.

وفي هذا يقول الإمام الرازي: (وكونها أمارة بالسوء يفيد المبالغة والسبب فيه أن النفس من أول حدوثها قد ألفت المحسوسات والتذت بها وعشقتها، فأما شعورها بعالم المجردات وميلها إليه فذلك لا يحصل إلا نادراً في حق الواحد، وذلك الواحد فإنما يحصل له ذلك التجرد والانكشاف طول عمره في الأوقات النادرة، فلما كان الغالب هو انجذابها إلى العالم الجسماني وكان ميلها إلى الصعود إلى العالم الأعلى نادراً لا جرم حكم عليها بكونها أمارة بالسوء)[١].

وأما النفس اللوامة: فهي المتعرضة للنفس الأمارة الشهوانية، وهي الزاجرة لها عن قبيح أفعالها، فإذا صدر من الأمارة فعل رديء تعرضت لها ولامتها على ما صدر منها من القبائح والعيوب وزجرتها عنه.

ويقول الرازي: (إن النفس اللوامة هي النفس المتقية التي تلوم النفس العاصية يوم القيامة بسبب أنها تركت التقوى، أو أنها هي النفوس الشريفة التي لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الطاعة)[٢].

(أو أنها نفس آدم لم تزل تلوم على فعلها التي خرجت به من الجنة)[٣].

(أو أنها نفس المؤمن لأن المؤمن لا تراه إلا لائماً نفسه، وأما الجاهل فإنه يكون راضياً بما هو فيه من الأحوال الخسيسة)[٤].

(أو أنها نفوس الأشقياء حين شاهدت أحوال القيامة وأهوالها، فإنها تلوم نفسها

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي م٩/ جـ١٨/صـ١٢٦.

(٢) المصدر السابق م ١٥/جـ٣٠/صـ١٩١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) نفس المصدر السابق ورقم الصفحة.

على ما صدر عنها من المعاصي)[1]. يقول الله تعالى: ﴿**أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ** ﴾[2].

والرأي الراجح أنها نفس المؤمن لأنها تلوم صاحبها على الإثم وتدفعه إلي الخير وتجعله يحاسب نفسه.

وأما النفس المطمئنة:

(فهي المستقرة الثابتة المتيقنة بالحق فلا يخالجها ريب، لأنها استنارت بنور القلب فتخلقت بالأخلاق الحميدة وتخلت عن الأخلاق الذميمة)[3]. (أو هي التي اطمأنت بالإيمان وأخبتت إلى ربها)[4].

والاطمئنان لا يحصل إلا بالله تعالى وذكره والتفكر في آلائه ونعمه ومخلوقاته، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾[5].

يقول الفخر الرازي: (واعلم أن لنا في قوله: ﴿ **أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ أبحاثاً دقيقة غامضة وهي من وجوه:

الوجه الأول: أن الموجودات على ثلاثة أقسام: مؤثر لا يتأثر، ومتأثر لا يؤثر، وموجود يؤثر في شيء ويتأثر عن شيء، فالمؤثر الذي لا يتأثر هو الله (ﷻ)، والمتأثر الذي لا يؤثر هو الجسم، فإنه ذات قابلة للصفات المختلفة والآثار المتنافية، وليس له خاصية إلا القبول فقط.

---

(١) المصدر السابق م ١٥/جـ٣٠/صـ١٩١.

(٢) سورة الزمر الآية: ٥٦.

(٣) أضواء على النفس البشرية، د. عبد العزيز جادو صـ١٨٢، ط/دار المعارف.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج/ تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي جـ٥/صـ٣٢٤/ ط الأولى/عالم الكتب – بيروت– لبنان ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٥) سورة الرعد الآية: ٢٨.

وأما الموجود الذي يؤثر تارة ويتأثر أخرى، فهي الموجودات الروحانية، وذلك لأنها إذا توجهت إلى الحضرة الإلهية صارت قابلة للآثار الفائضة عن مشيئة الله تعالى وقدرته وتكوينه وإيجاده، وإذا توجهت إلى عالم الأجسام اشتاقت إلى التصرف فيها، لأن عالم الأرواح مدبر لعالم الأجسام وإذا عرفت هذا، فالقلب كلما توجه إلى مطالعة عالم الأجسام حصل فيه الاضطراب والقلق والميل الشديد إلى الاستيلاء عليها والتصرف فيها، أما إذا توجه القلب إلى مطالعة الحضرة الإلهية حصل فيه أنوار الصمدية والأضواء الإلهية، فهناك يكون ساكناً، فلهذا السبب قال: ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾(١).

ويقول في موضع آخر: (فنقول: القرآن والبرهان تطابقا على أن هذا الاطمئنان لا يحصل إلا بذكر الله، أما القرآن فقوله: ﴿ **أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ وأما البرهان ...: أن القوة العاقلة إذا أخذت تترقى في سلسلة الأسباب والمسببات، فكلما وصل إلى سبب يكون هو ممكناً لذاته طلب العقل له سببا آخر، فلم يقف العقل عنده، بل لا يزال ينتقل من كل شيء إلى ما هو أعلى منه، حتى ينتهي في ذلك الترقي إلى واجب الوجود لذاته مقطع الحاجات، ومنتهى الضرورات، فلما وقفت الحاجة دونه وقف العقل عنده واطمأن إليه...)(٢).

أو هي التي سكنت إلى الله واطمأنت بذكره وأنابت إليه واشتاقت إلى لقائه وأنست بقربه فهي مطمئنة إلي ما وعد الله مصدقة بما قال ثابتة على الإيمان.

ويقول ابن عباس: هي المصدقة وعنه المؤمنة المؤقتة.

وقال مجاهد: هي المنيبة(٣): المخبتة التي أيقنت أن الله ربها وربطت جأشها

(١) مفاتيح الغيب م ١٠/جـ١٩/صـ٤٠.

(٢) المصدر السابق م ١٦/جـ٣١/صـ١٦٠، ١٦١

(٣) أي الراجعة.

وأيقنت بلقائه وعنه: الراضية بقضاء الله التي علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها، وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها.

وقال مقاتل: هي الآمنة من عذاب الله(١).

وقيل هي الآمنة التي لا يلحقها خوف ولا حزن(٢).

وقيل: هي التي تنورت بنور القلب حتى تخلت عن صفاتها الذميمة وتحلت بالأخلاق الحميدة(٣).

والمتأمل في هذه المعاني لا يجد اختلافاً ولا تعارضاً بينها وبين بعض، فكلها تدور حول اتصاف هذه النفس بمكارم الأخلاق والتحلي بها.

ويجمع بين هذه الأقوال: بأنها المطمئنة الساكنة الموقنة بالإيمان بتوحيد الله تعالى الواصلة إلي اليقين بحيث لا يخالطها شك ولا يعتليها ريب الراضية بقضاء الله وقدره التي علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها، وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها المخبتة لذكر الله العابدة المخلصة له.

وخلاصة القول: فهي نفس بلغت قمة الأمان والرضا لأنها اعتصمت بالله فهداها إلي الصراط المستقيم وصارت فوق الأحداث بما آتاها الله من الحكمة فكفت عن لهو الحديث واشتغلت بالصالح من الأقوال والأفعال لرضائها بما قسم الله لها من حظوظ العيش فلم تنشغل بما انشغل به غيرها من حرص وطمع وحقد وحسد وتكالب على حطام الحياة الفانية، ولرضاها بقضاء الله أوصلها نور اليقين إلي الاطمئنان بما عند الله فسكنت إلي راحة الإيمان واطمأنت في واحة الأبدان

---

(١) انظر: طبقات المفسرين للداوودي جـ٢/صـ٣٣٠، ط/دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري جـ١٥/صـ١٩٠/ دار الفكر/ بدون.

(٣) معالم التنزيل، للإمام البغوي جـ٤/صـ٤٨٦، ط /دار المعارف، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي جـ٢/صـ٥٧، وانظر: تفسير أبو السعود جـ٩/صـ١٨٥.

بعيداً عن وساوس الشيطان[١].

مراتب النفس الإنسانية:

للنفس في تطورها وتدرجها إلي الكمال مراتب وبعض القوم يسمونها مقامات والنفس واحدة وتسمى بأسماء أو توصف بصفات تضاف إليها بحسب تدرجها في الكمال والرقي.

ومن ثم رتبها السيد محمود[٢] أبو الفيض المنوفي في كتابه (معالم الطريق إلى الله).

فيقول: (النفس في مرتبتها الأولى تسمى أمارة بالسوء، وهي التي تميل دائماً إلي الغرائز والشهوات كما ذكر الحق تعالى في كتابه: ﴿ **إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** ﴾[٣]. فإذا ما جاهدها صاحبها وخالفها فعنت للحق واجتنبت المحظورات قد ترجع إلي سابق طاعتها وتلوم نفسها، وحينئذ تكون النفس في المرتبة الثانية وهي: اللوامة، قال تعالى: ﴿ **لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ** ﴾[٤]. وإذا أخذها صاحبها بالمجاهدة والثبات على الحق مالت إلي عالم القدس فبصرها الله بمواقع فجورها وتقواها وحينئذ تسمى بالنفس الملهمة وهي المرتبة الثالثة، قال تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾[٥]. فإذا اطمأنت إلي أوامر البصيرة وتبدلت صفاتها المذمومة بالصفات المحمودة وتخلقت بما أمر الله سميت حينئذ النفس المطمئنة وهي المرتبة الرابعة، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيَّتُهَا**

---

(١) انظر: النفس الإنسانية في القرآن الكريم، إبراهيم محمد سرسيق صـ٧٤، ٧٥، مطبوعات تهامة، جدة، السعودية، ط ١/١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٢) معالم الطريق إلي الله، صـ٢٨٥، ٢٨٦، وكتاب لمع اليقين في الكشف عن مناهج الفيضيين صـ ٤٢، ٤٣.

(٣) سورة يوسف الآية: ٥٣.

(٤) سورة القيامة الآيتان: ١، ٢.

(٥) سورة الشمس الآيتان: ٧، ٨.

النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾[1]. وهذه الدرجة هي أول الهدى ومبدأ طريق الوصول إلي الله، فإذا أدرك السالك العناية ورضيت نفسه بأفعال خالقها عطاءاً ومنعاً وابتلاء واجتباء حينئذ تسمى راضية وهي المرتبة الخامسة.

وهنا تتكشف له حجب من الأنوار بعد أن كانت من الظلمات، فإن كان عمله طاعة واحتساباً وصلاحاً بدل الله سيئاته حسنات وفتح على نفسه أبواب من التذوق والإلهامات والتجليات سميت عند ربها مرضية وهي المعنية بقوله تعالى: ﴿ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾[2]. وهذه هي المرتبة السادسة فإذا نادته ظلال الموجودات الإمكانية التي يستوي فيها طرفا الوجود والعدم: ﴿ **إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ**﴾[3]. سمع لسان حالها يقول: "وأن إلي ربك المنتهى"، ثم على علم اليقين أن الأطياف لا تغني عن الأنوار وأن المظاهر لا تثني العنان عن الحقائق وأن مآله للفناء لا يغني شيئاً عما مآله للبقاء سمع النداء حينئذ من بارئ الأرض والسماء: ﴿ **يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً. فَادْخُلِي فِي عِبَادِي. وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾[4]، ويكون مقامها حينئذ ﴿ **فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ** ﴾ وفي هذه المرتبة تكون الكمالات لها سجية ولذا تسمى هذه المرتبة بالنفس الكاملة وهي السابعة.

والنفس بهذا المعنى في القرآن الكريم كان له أثر واضح فيما قال به علماء النفس عنها في وصف مجالاتها من الغرائز والحاجات ودرجاتها، وكلها مجالات للنفس الإنسانية كما وصفها القرآن الكريم.

---

(١) سورة الفجر الآيتان: ٢٧، ٢٨.

(٢) سورة المائدة الآية ١١٩.

(٣) سورة البقرة الآية: ١٠٢.

(٤) سورة الفجر الآيات: ٢٧ – ٣٠.

الفصل الثاني

النفس والروح

ويشتمل على ثلاث مباحث.

المبحث الأول: هل النفس والروح شيء واحد أو أنهما متغايران؟

المبحث الثاني: قدم النفس وحدوثها.

المبحث الثالث: بقاء النفس.

المبحث الأول
هل النفس والروح شيء واحد أو أنهما متغايران

لا شك أن الإنسان كما نراه في تكوينه وخلقه يتركب من جسم ونفس وروح.

أما الجسم فهو عبارة عن الهيكل العظمي المكسو لحماً وشحماً كما نراه بالعين المجردة ويمكن وصفه بهيكل أو قالب يقام لإنشاء بناء مطلوب ومتى تم العمل أزيل الهيكل وبقى البناء ويمكن أن نعتبره وعاءاً مادياً نسكن فيه إلي حين وحال ما يعتري هذا الجسد المادي أي عطب ويصبح غير قابل للسكنى فنحن نخرج منه ونتركه جثة هامدة مظلمة [١].

وهذا ما يسمى بالموت. أما النفس فهي وإن كانت سراً غامضاً لا يصل إلي إدراك كنهها العقل الإنساني إلا أن مظاهرها وآثارها تبدوا جلية في القوى التي تسير جسمنا وتدير شئون حياتنا الإنسانية من التفكير والإرادة والوجدان، فإذا قلت مثلاً إني ذاهب إلي البيت الذاهب في الحقيقة هو نفسك وذاتيتك لا جسمك وبدنك والنفس هي التي تحمل البدن وتسوقه إلي ذلك المكان لا عكسه.

وهي الجوهر اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة والإرادة وهي مجردة عن المادة قائمة بنفسها غير متحيزة مشتبكة بالبدن اشتباك الماء بالعود الأخضر ومتعلقة به للتدبير والتحريك فنعلم من هذا أن البدن ككساء للنفس تابع وخاضع لأمرها كما أن الثوب كساء للبدن تابع ومتحرك به"[٢].

---

(١) أضواء على النفس البشرية صـ٢٨، د. عبد العزيز جادو.

(٢) المصدر السابق صـ٢١، مصدر سابق.

كما أن أظهر الآثار التي يرى فيها جلال ذات الحق (ﷻ) وكمال صفاته إنما هو معرفة النفس كما قال الله تعالى: ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** ﴾[1]، وفي قوله: ﴿ **وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ. وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾[2].

والحكمة التي استقر عليها كل المفكرين قديماً وحديثاً هي معرفة النفس (على أنها الطريق لمعرفة أسرار الوجود الإلهي، لأن من عرف نفسه فقد عرف ربه)[3].

هذه هي حقيقة النفس فما هي حقيقة الروح إذن؟

حقيقة الروح:

يرى فريق من العلماء أن البحث عن الروح من الأمور التي نهى عنها الشارع الحكيم واستدلوا بقول الله (ﷻ): ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾[4]. ولكن على الرغم من ذلك فقد وردت كلمة الروح في القرآن الكريم على عدة معاني منها:

* **القرآن الكريم**، كما في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا** ﴾[5].

* **ومنها نبي الله**، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ** ﴾[6].

* **ووردت بمعنى جبريل** (عليه السلام)، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ**

(١) سورة فصلت الآية: ٥٣.
(٢) سورة الذاريات الآيتان: ٢٠، ٢١.
(٣) أضواء على النفس البشرية صـ٢١، بتصرف، مصدر سابق.
(٤) سورة الإسراء الآية: ٨٥.
(٥) سورة الشورى الآية: ٥٢.
(٦) سورة النساء الآية: ١٧١.

الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾(١).

*** ومنها الروح الإنسانية،** قال تعالى: ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾(٢).

فعلى أي أساس قصرتم معنى الروح الواردة في الآية على الروح الإنسانية لم لا يجوز أن يكون المراد به القرآن؟ وسماه روحاً، لأنه يقيد الحياة بموت الجهل أو الكفر)(٣).

وهل يجوز لنا أن نسوغ دليلاً هكذا (الروح من أمر الله وكل ما كان من أمر الله فلا يجوز البحث فيه)، ونخلص من ذلك كله إلي أن الله تعالى لم يمنعنا عن البحث في الروح حتى لو أريد بها في الآية الروح الإنسانية، وما دام الأمر كذلك فما هي حقيقة الروح؟

يرى البعض أنها جسم لطيف نوراني ساري في البدن سريان الماء في العود الأخضر ويرى الإمام الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة إجابة حيث يقول:

(إن السؤال كان عن حقيقة الروح، أهي عبارة عن أجسام موجودة في داخل هذا البدن، متولدة من امتزاج الطبائع والأخلاق، أو هي عبارة عن نفس هذا المزاج والتركيب، أو هي عبارة عن عرض آخر قائم بهذه الأجسام، أو هي عبارة عن موجود يغاير هذه الأجسام والأعراض؟

فأجاب الله عنها بأنها موجود مغاير لهذه الأجسام ولهذه الأعراض، وذلك لأن هذه الأجسام أشياء تحدث من امتزاج الأخلاط والعناصر)(٤).

---

(١) سورة الشعراء الآيات: ١٩٢ – ١٩٤.

(٢) سورة ص الآية: ٧٢.

(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي م١٤/جـ٢٧/صـ١٩٢.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب للرازي م١١/جـ٢١/صـ٣١.

أما الروح (فإنه ليس كذلك بل هو جوهر بسيط مجرد لا يحدث إلا بمحدث)[١].

كما في قـــوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُــولَ لَــهُ كُــنْ فَيَكُونُ** ﴾[٢].

من ذلك نعلم أن طبيعة الروح اختلف فيها، فالبعض يرى أنها جوهر مادي، والإمام الرازي ومن يرى رأيه يقولون بأنها جوهر مجرد، ومن الممكن لأصحاب الرأي القائلين بمادية الروح التمسك بمثل قوله تعالى: ﴿ **فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَــتِ الْحُلْقُــومَ. وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ** ﴾[٣].

قد صورت الآية الكريمة: (أن الروح تنحسر شيئاً فشيئاً عن البدن حتى تصل إلي الحلقوم، وهذا لا يكون إلا في الأمور المادية)[٤]. ويمكن للإمام الرازي ومن يرى رأيه الرد على هذا الدليل بأنه كناية عن دنو الأجل.

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي م١١/جـ٢١/صـ٣١.

(٢) سورة النحل الآية: ٤٠.

(٣) سورة الواقعة الآيتان: ٨٣، ٨٤.

(٤) محاضرات في علم الكلام، د. محمد عيسى زكريا صـ١٥٠.

المبحث الثاني
قدم النفس وحدوثها

إن قدم الروح وحدوثها مسألة زل فيها عالم، وضل فيها طوائف من بني آدم، وهدى الله أتباع رسوله فيها للحق المبين والصواب المستبين، فأجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة هذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها، وأنها مخلوقة حتى نبغت نابغة مِمَّن قصر فهمه في الكتاب والسّنة فَزعم أَنَّهَا قديمَة غير مخلوقة، وَاحْتج بِأَنَّهَا من أَمر الله وَأمره غير مَخْلُوق، وبِأَن الله أضافها إِلَيْهِ كَمَا أضَاف إِلَيْهِ علمه وَكتابه وَقدرته وسَمعه وبصره، وَتوقف آخَرُونَ فَقَالُوا لَا نقُول مخلوقة وَلَا غير مخلوقة.

وما قرره المتكلمون هو (أن الْأَرْوَاح كلهَا مخلوقة، وَاحْتَجُّوا بقول النَّبِي (ﷺ): «الْأَرْوَاح جنود مجنده فَمَا تعارف مِنْهَا ائتلف وَمَا تنافر مِنْهَا اخْتلف»[(١)]، والجنود المجندة لَا تكون إِلَّا مخلوقة[(٢)].

ونحن نؤمن بأن كل موجود ما عدا الله حادث فالروح إذن من المحدثات، لكن هل حدثت قبل الجسم أو معه أو بعده؟

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن الروح حدثت بعد الجسم، قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾[(٣)]. والتسوية كما هو

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان جـ٥/صـ٢٦، رقم ٢٦٤٢ وقال: حديث حسن، وأحمد في المسند جـ٢/صـ١٧٦.

(٢) الروح لابن القيم الجوزية، تحقيق: كمال الجمل صـ١٨٣، ١٨٤ بتصرف، ط/ مكتبة الإيمان بالمنصورة.

(٣) سورة ص الآية: ٧٢.

واضح خاصة بالبدن، وهذا يدل كما يقول الرازي: (على أن تخليق البشر لا يتم إلا بأمرين التسوية أولاً، ثم نفخ الروح ثانياً، وهذا حق لأن الإنسان مركب من جسد ونفس. أما الجسد فهو الهيكل الذي من أجله الاستعداد لقبول النفس الناطقة)[١].

وأما النفس فإليها الإشارة بقوله: (﴿**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي** ﴾، ولما أضاف الروح إلي نفسه تعالى دل على أنه جوهر شريف علوي قدسي)[٢]. فدل ذلك على أسبقية البدن على الروح وبالطبع ليس المراد بالنفخ حقيقته وإنما المراد وصول أثره إليه.

ومع ذلك فقد تمسك البعض بدليل يفهم منه أسبقية الروح على الجسم وهو قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ** ﴾[٣].

والواقع أن هذا الدليل فيما يرى البعض لا يشهد لهم على مدعاهم، إذ لو كان المراد أن الروح سابقة على الجسم لقال الله تعالى: (وإذ أخذ ربك من آدم فذرية آدم كلها من صلبه ولم يكن بنوه قد وجدوا بعد).

ولم لا يجوز أن يكون التعبير بالماضي والمراد به المستقبل كقوله تعالى: ﴿ **أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ** ﴾[٤]. وأمر الله (ﷻ) المراد به عذاب يوم القيامة، وهو لم يأت بعد)[٥]. وما المانع أن يكون المراد أن الله نصب لهم من الأدلة على ربوبيته ووحدانيته أنهم يرون آياته حتى ولو لم يعملوا عقولهم فكأنهم أشهدهم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا.

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي م١٣ /جـ٢٩/صـ١٩٩، دار الكتب العلمية، مصدر سابق.

(٢) المصدر السابق نفس المجلد والجزء والصفحة.

(٣) سورة الأعراف الآية: ١٧٢.

(٤) سورة النحل الآية: ١.

(٥) انظر: مفاتيح الغيب للرازي م١٠/جـ١٩/صـ١٧٢.

المبحث الثالث
بقاء النفس والروح

هل تموت الروح أم الموت للبدن وحده؟

اخْتلف النَّاس فِي هَذَا، فَقَالَت طَائِفَة: تَمُوت الرّوح وتذوق الْمَوْت لِأَنَّهَا نفس وكل نفس ذائقة الْمَوْت، قَالُوا: وَقد دلّت الْأَدِلَّة على أَنه لَا يبْقى إِلَّا الله وَحده، قَالَ تَعَالَى: ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** ﴾(١)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾(٢)، قَالُوا: وَإِذا كَانَت الْمَلَائِكَة تَمُوت فالنفوس البشرية أولى بِالْمَوْتِ، قَالُوا: وَقد قَالَ تَعَالَى عَن أهل النَّار أَنهم قَالُوا: ﴿ **رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ** ﴾(٣)، فالموتة الأولى هَذِه هي المشهودة وَهِي للبدن وَالْأُخْرَى للروح.

وَقَالَ آخَرُونَ: لَا تَمُوت الْأَرْوَاح، فَإِنَّهَا خلقت للبقاء وَإِنَّمَا تَمُوت الْأَبْدَان، قَالُوا: وَقد دلّت على هَذَا الْأَحَادِيث الدَّالَّة على نعيم الْأَرْوَاح وعذابها بعد الْمُفَارقَة إِلَى أَن يرجعها الله فِي أجسادها وَلَو مَاتَت الْأَرْوَاح لانقطع عَنْهَا النَّعيم وَالْعَذَاب، وَقد قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾(٤).

فدل ذلك على أن الشهداء أحياء، والقائلون بهذا من أثبتوا الحياة للروح(٥).

---

(١) سورة الرحمن الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة القصص الآية: ٨٨.

(٣) سورة غافر الآية: ١١.

(٤) سورة آل عمران الآيتان: ١٦٩، ١٧٠.

(٥) مفاتيح الغيب للرازي م٥/جـ٩ /صـ٧٤.

ومن ثم فإن الروح باقية لا تفنى، ومما يؤكد ذلك أيضاً ما جاء في الصحيحين من حديث ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: " وقف النبي (ﷺ) على قليب بدر فقال: "هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا، ثم قال: إنهم الأن يسمعون ما أقول، فذكر لعائشة فقالت: إنما قال النبي (ﷺ) : إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق»[1]. فهذا نص يدل على بقائها وبقاء إدراكها.

ولكن هل تفنى الروح عند النفخة الأولى أو تبقى حية كما هي أو تموت ثم تحيا؟. ومرجع الإجابة على هذا السؤال ما وقع من خلاف في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ** ﴾[2].

وبيان ذلك كما يلي:

فقد استثنى الله (ﷻ) بعض من في السماوات والأرض من هذا الصعق فقيل هم الشهداء هذا قول أبى هريرة وابن عباس وسعيد بن جبير، وقيل هم: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، وهذا قول مقاتل، وقيل هم الذين في الجنة من الحور العين وغيرهم ومن في النار من أهل العذاب وخزنتها، قاله أبو

(١) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب المغازي/ باب قتل أبي جهل ٧٧/٥ رقم ٣٩٨٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه = صحيح البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري/ ت: محمد زهير بن ناصر/ دار طوق النجاة/ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي/ ط١٤٢٢/١هـ، وأخرجه مسلم في صحيحه/ كتاب الجنائز/ باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه/ ٦٤٣/٢/ ح رقم ٩٣٢/ مكتبة مسلم للنشر والتوزيع/ جمهورية مصر العربية- القاهرة/ ط أولى ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

(٢) سورة الزمر الآية: ٦٨.

إسحاق، وقد نص الإمام على أن الحور العين والولدان لا يمتن عند النفخ في الصور، وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة: ﴿ **لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى** ﴾[١]. وهذا نص على أنهم لا يموتون غير تلك المرة الأولى، فلو ماتوا مرة ثانية لكانت موتتين، وأما قول أهل النار: ﴿**رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ** ﴾[٢]. فتفسير هذه الآية التي في البقرة وهي قوله تعالى: ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ** ﴾[٣]، فكانوا أمواتا وهم نطف في أصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم، ثم أحياهم بعد ذلك، ثم أماتهم ثم يحييهم يوم النشور، وليس في ذلك إماتة أرواحهم قبل يوم القيامة وإلا كانت ثلاث موتات وصعق الأرواح عند النفخ في الصور يلزم منه موتها[٤].

والحق في هذه المسألة أن الروح من أمر الله جل شأنه، ومن ثم فإن فريقاً من العلماء أمسك عن القول بفنائها أو بقائها عند النفخة الأولى مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي** ﴾[٥]. هذا من جانب ومن جانب آخر تأدباً مع جلال الحق تعالى.

واجتهد علماء آخرون في تفسير قوله: ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** ﴾[٦].

فمنهم من فسر الهلاك بالعدم والمعنى أن الله يعدم كل شيء سواه، ومنهم من

---

(١) سورة الدخان الآية: ٥٦.

(٢) سورة غافر الآية: ١١.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٨.

(٤) الروح لابن القيم الجوزية صـ٤٥، ٤٦ بتصرف.

(٥) سورة الإسراء الآية: ٨٥.

(٦) سورة القصص الآية: ٨٨.

قال أن المراد بالهلاك ليس الفناء وإنما المراد به الخروج عن حد الانتفاع[١].

أما بالإماتة أو تفريق الأجزاء وإن كانت أجزاؤه باقية فإنه يقال: (هلك الثوب وهلك المتاع ولا يريدون به فناء أجزائه، بل خروجه عن كونه منتفعاً به)[٢].

ومن ثم بدا لهم أن الروح لا تفنى وقد تكون من المستثنيات التي عبر الله عنها في قوله: ﴿**إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ**﴾.

(١) مفاتيح الغيب للرازي م١٣/جـ٢٥ /صـ٢٠.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

الفصل الثالث

النفس بين الفكر الشرقي القديم والفلسفة

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: النفس في الفكر الشرقي القديم.

المبحث الثاني: النفس عند فلاسفة اليونان.

المبحث الثالث: النفس عند فلاسفة المسلمين.

المبحث الأول

النفس في الفكر الشرقي القديم.

لما كان الحديث عن النفس من الموضوعات التي لاقت اهتمام الباحثين والمفكرين عبر العصور المختلفة، فأدلى كل واحد بدلوه وحاول الوقوف عليها وكشف أسرارها.

والمتتبع لهذا الموضوع يرى أن الفكر الشرقي القديم يدور في جزئه الأعظم حول النفس في أصلها ووسائل تطهيرها وتهذيبها(١).

ومن بين الذين تعرضوا لدراسة النفس:

١- المصريون القدماء(٢).

حيث قاموا بدراسة النفس وبحثوا في طبيعتها وعلاقتها وصلتها بالبدن ومصيرها، وبيان ذلك كما يلي:

لما كانت النفس هي أساس هلاك البدن أو نجاته، فإن المصريين اهتموا بها اهتماماً بالغاً، ودرسوها من جوانب متعددة، فدرسوها من حيث طبيعتها، وانتهوا إلى أنها ذات طبيعة روحانية، حيث إن الإنسان مركب من جوهرين متمايزين هما النفس والروح كما بحثوا عن طبيعتها وعن قواها وآمنوا بخلودها في الدار الآخرة، ولهذا جاءت تعاليمهم واضحة وصريحة في ضرورة الاهتمام بالنفس والعناية بها، فمصيرها في الآخرة مرهون بسابق عملها في العالم الأول، فقد وجد مسطوراً على إحدى الأحجار (أنا لا أموت مرة ثانية في العالم الآخر)(٣). ووجد أيضاً:

---

(١) انظر: الفلسفة الإسلامية، د. إبراهيم مدكور جـ١/صـ١٢٠.

(٢) انظر: الفلسفة في المشرق، بول ماستيون، ترجمة/ محمد يوسف موسى صـ٤٥ – ٥٠، ط/ دار المعارف.

(٣) الأدب والدين عند قدماء المصريين، أنطوان ذكري صـ١٠٧، ط/دار المعارف، ط/الأولى.

(إنه لغبي ذلك الذي لا يكترث باليوم الآخر)[١].

ولا شك أن هذا الاهتمام جاء نتيجة لاختلاطهم بغيرهم من الشعوب الأخرى وما خلفته الرسالات السماوية من أثر باق في نفوسهم، بالإضافة إلي هذا طبيعة التربة المصرية حقاً لن ترق أبحاثهم وآراؤهم إلي مكانة البحث الفلسفي، إلا أن هذا لا يقلل من شأنهم ومن قيمة آرائهم.

طبيعة النفس عند قدماء المصريين:

اعتقد المصريون القدماء أن الإنسان مركب من جوهرين متمايزين هما الجسم والنفس، وتسكن بالجسم صورة أخرى مصغرة منه تسمى القرينة[٢] أو ألكا[٣] وهي عبارة عن صورة لطيفة للشخص أو شبح غير منظور يولد مع الإنسان أو يحل فيه ويبقى بجانبه بعد الموت ليعنى بالجسم والنفس[٤]. وقد رأى المصريون أن النفس لا تعيش إلا إذا كان الجسم سليماً، حيث إن سلامته تجعله صالحاً لعودة الروح إليه مرة أخرى بعد أن كانت فارقته بالموت[٥]. حيث إنها تطير إلي السماء وتعود إلي صاحبها من آن لآخر لزيارته، ولكي تظل النفس أو الروح سعيدة لابد من بقاء مأواها خالياً من الخدوش فاخترعوا التحنيط

(١) الحكم والأمثال عند قدماء المصريين، كمال محرم صـ٧٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) في فلسفة ابن سينا تحليل ونقد، ج/ محمود ماضي صـ٩٣، نشر/دار الدعوة.

(٣) ألكا معتقداً أن الموتى يقيمون في مقابرهم وكان موتهم يفسر بأنه قوة خاصة تسمى ألكا تهجرهم ويستقبل كل إنسان هذه الألكا عند مولده. [انظر: ديانة مصر القديمة أدولف أرمان، ترجمة د. عبد المنعم بكر وآخرون صـ٢٣٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٤) محاضرات في الفلسفة الشرقية والإغريقية، د. محمد خليل هراس صـ٩، ١٠، ط/دار الأنوار سنة ١٩٦٣م.

(٥) الديانات القديمة، للشيخ أبو زهرة ٢صـ١٧.

مدفوعين إلي ذلك باحتياجهم إليه وأقاموه على هيئة من التماسك[١].

وظلوا على ذلك أمداً ثم انتقلوا من التحنيط إلي النحت تجنباً للروح من الخطأ الذي يقع عليها، وقد حرصوا كل الحرص على أن يكون التمثال المنحوت شبيهاً بالجسم الأصلي في جميع أحواله وملامحه، مما دفعهم إلي الإجادة والإتقان، كما عددوا التماثيل للميت الواحد حتى جاوزت في بعض الأحيان مائة تمثال للدفين الواحد لاحتمال أن يكون أحدهما غير صالح فيكون الآخر صالحاً[٢].

وكان التعدد للتماثيل نتيجة الآتي:

(أ) الإحساس الديني الجامح عندهم والذي كان ينغص مضاجعهم وينذرهم بالعذاب الشديد إذا أخطأ المثال ولو في شيء يسير.

(ب) حرصهم على أن تظل الروح في سعادة دائمة ولن يتأتى هذا حسب زعمهم إلا بانتقالها من تمثال لآخر[٣]. ولعل هذا يفسر لنا تركهم في القبر ثغرة بسيطة تنفذ منها الروح جيئة وذهاباً.

وخلاصة القول: أن ما قام به المصريون إنما كان لأجل حفظ الجثة وإراحة النفس[٤].

(١) الفلسفة الشرقية/ د. محمد غلاب صـ٥٥، ٥٦.

(٢) الديانات القديمة للشيخ محمد أبو زهرة صـ١٧، وانظر: الفلسفة في الشرق صـ٥٨.

(٣) الفلسفة الشرقية، د. محمد غلاب صـ٥٦

(٤) أضواء على النفس البشرية، د. عبد العزيز جادو صـ٧٨.

قوى النفس: عند قدماء المصريين.

ذهب المصريون القدماء إلى أن للنفس أربع قوى، هي:

(أ) **الروح:**

وهي الأساس الأعظم فهي أساس القوى في الإنسان(١). وقد تصوروها على هيئة طائر له رأس إنسان وذراعاه تطابق ملامح وجه صاحبه ويسمى (الميز) أو المجيد، وهي تنفصل عنه بعد الموت لتصعد إلي السماء، لكنها تعود مرة أخرى من آن لآخر(٢).

(ب) **العقل والإرادة أو النفس:**

ومن الممكن أن تكون القوة السابقة قرينة له(٣).

(جـ) **الشبح:**

وهو صورة صيغت من الأثير أو مادة أدق منها ولكنها على هيئة الجسم تماماً.

(و) **الكما:**

وهي الجوهر الخالد في الإنسان وفي كل إله والذي هو سر الحياة وسر السمو(٤). كما أنها هي الشرارة الإلهية التي تترك النفس بعد الوفاة ولم تتصل بها إلا وقت اتحادها بالمبدأ الأسمى أو وقت المثول للثواب أو العقاب(٥).

وتمتاز (الكما) عن بعض القوى عند المصريين بوجودها في السماء ما دام الإنسان حياً، فإذا مات اتصلت به اتصالاً وثيقاً يجعله غير قابل للزوال(٦).

---

(١) الفلسفة الشرقية، د. غلاب صـ٥٦.

(٢) الخلود في التراث الثقافي المصري، د. سيد عويس صـ٢٧/الهيئة المصرية العامة للكتاب- مكتبة الأسرة ١٩٩٩م.

(٣) الخلود في التراث الثقافي، د. سيد عويس صـ٢٧.

(٤) الفلسفة الشرقية، د. محمد غلاب صـ٥٦.

(٥) الدين والفلسفة والعلم، محمود المنوفي صـ٦٦.

(٦) الفلسفة الشرقية، د. محمد غلاب صـ٥٩.

خلود النفس عند قدماء المصريين:

من الموضوعات التي درسها المصريون القدماء موضوع خلود النفس فقد احتلت مكاناً بارزاً لدرجة أنه لا يكاد يكون مصدر تاريخي عندهم إلا ولهذه الفكرة بروز واضح وقد أكد هذه الحقيقة عدد من المؤرخين الذين لا يستهان بهم. يقول هيروديت: (إن المصريين هم أول الشعوب الذين دانوا وآمنوا ببقاء النفس وخلودها)(١). ويقول ول ديورانت: (وكان أهم ما يميز الديانة هو تأكيدها بفكرة الخلود)(٢).

ولهذا جاء في كتاب الموتى ما نصه: (أنا لا أموت ثانية في العالم الآخر) ووجد مسطوراً على أحجار الأهرام (إن النفس خالدة لا تموت)(٣).

وعلى هذا فلو لم يكن المصريون القدماء آمنوا باليوم الآخر، والحياة بعد الموت، وحافظوا على أجسادهم فأقاموا الأهرام والقبور بهذا الشكل، ما كانت وصلت إلينا عقيدتهم، ولظلت قبورهم ومعابدهم جماداً لا تتكلم، واتخذناهم أشلاء لحضارة من ماض بعيد لا نعرف عنها أي معرفة.

ولهذا وجدنا أحد الباحثين يقول: (إن الفكرة التي سيطرت في الديانة المصرية القديمة هي فكرة الحياة المستقبلة)(٤).

مصير النفس عند قدماء المصريين:

آمن المصريون القدماء بخلود النفس، ولذا جعلوا لمصيرها باباً مفتوحاً بالخير أو الشر فمصير الحياة الأخرى مرهون عندهم بما تقدمه من أعمال في هذه الدنيا، ولهذا جاءت دعواهم مركزة على وجوب تحلي النفس بالفضائل

(١) الأدب والدين عند قدماء المصريين، أنطوان ذكري صـ١٠١، ط/دار المعارف.
(٢) قصة الحضارة جـ٢/صـ١٦٢، ترجمة/ محمد بدران، دار التأليف والنشر والترجمة.
(٣) الأدب والدين صـ١٠٧، لأنطوان ذكري.
(٤) كناش في الفلسفة جـ١/صـ٣٦، أمين الخولي، مطبعة أبي الهول ١٣٥١هـ/١٩٣٢م.

وهجر الرذائل، فقد جاء ما نصه: (إن النفس إذا تحلت وتخلت بالكلم الطيب والعمل الصالح فإنها ترقى إلي أعلى وتتصف بصفات الإله – وذلك حسب اعتقادهم – وتظل تنتقل من مكان إلي آخر في هناء وسرور على حين أنها إذا كانت نفساً خبيثة فإنها تهوى إلي القاع)[١].

ولعل ما خلده من حكم وأمثال يؤكد هذا المعنى ويقرره[٢]. كما وردت عنهم تصورات عن الحساب والميزان، والجنة والنار، وهي وإن كانت لا تخلوا من صور وثنية إلا أنها تؤكد عنايتهم بمآل النفس ومصيرها[٣].

٢ – النفس عند الفرس:

لقد اهتم الفرس بالنفس اهتماماً كبيراً ودرسوها من جوانب متعددة كحقيقتها وقواها ومصيرها إلي غير ذلك من الموضوعات التي تتصل بها لأنهم رأوا أنها مصدر حياة الإنسان وسر وجوده، فإذا ما نزعت منه تلاشت حياته وتوقفت حركته كما أنها قوة مخلوقة لإله الخير خلقها لكل إنسان.

وتدفع الإنسان إلي ما يقوم به من أعمال وليس لأحد سلطان عليها، بل هي مختارة فيما تفعل، ولهذا فهي ستحاسب على جميع ما تقدم به من أعمال[٤].

---

(١) الديانات القديمة، للشيخ أبو زهرة صـ١٨.

(٢) فقد جاء أن المرء يبعث بعد الموت وتوضع أعماله بجواره وإنه بغبي ذلك الذي لا يكترث باليوم الآخر، أما من أتاه بعمل صالح لا خطيئة فيه فسيكون مثواه يمشي فرحاً مثل الأبرار الخالدين [انظر: الحكم والأمثال عند المصريين القدماء، كمال محرم صـ٩٤: ٩٦ بتصرف، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م.

(٣) اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، د. فرج عبد الباري صـ٣٧: ٣٨ ط/دار الوفاء بالمنصورة.

(٤) فجر الإسلام، أحمد أمين صـ١٥٩، ١٦٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

دواعي اهتمام الفرس بالنفس:

لقد كان المعتقد عند الفرس أن الإنسان يتكون من جوهرين متمايزين أحدهما ظاهر للعيان وهو الجسم، والآخر خفي مستتر وهو النفس، فالإنسان يتكون من جسم ونفس(١).

وهذه النفس خلقها الله بعد أن لم تكن، وهي مبعث النشاط ومصدر الحركة وسر الوجود، وقد منحها الله حرية الإرادة، فهي تستطيع أن تختار الخير أو الشر حسب مرادها(٢).

بالإضافة إلي هذا وجدت عدة دواعي أخرى أيقظت ولفتت انتباه الفرس للعناية بالنفس، من أهمها ما يلي:

(١) إرسال الرسل:

اقتضت سنة الله تعالى أن يرسل لكل أمة من يقودها إلي أمر رشدها، قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾(٣)، والفرس من الأمم التي أُرسل إليها رسلاً وقد أكد هذه الحقيقة بعض الباحثين مستشهداً على ذلك بأن علي بن أبي طالب وسعيد بن المُسَيب قد ذهبا إلي أن الفرس من الأمم التي لها كتاب(٤).

ولا شك أن دعوة الرسل تركز على الاهتمام بالنفس والعناية بها، بل إنها تتجه إلي الأرواح قبل أن تتجه إلي الأبدان وتخاطب النفوس قبل أن تخاطب الأبدان(٥).

---

(١) نسبة هذه الديانة إلي رجل يسمى مزدك ظهر في القرن الخامس الميلادي [الملل والنحل للشهرستاني جـ١/صـ٢٩٥].

(٢) الفلسفة الشرقية، محمد غلاب صـ١٩٣.

(٣) سورة فاطر الآية: ٣٤.

(٤) الأديان في القرآن، محمود بن الشريف صـ٨٩، مكتبة عكاظ.

(٥) الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق، د. إبراهيم مدكور جـ١ /صـ١١٩.

(٢) اتصالهم بغيرهم من الشعوب:

فقد اتصل الفرس بالشعوب الأخرى عن طريق العلاقات التجارية والصلات الاقتصادية، فاتصلوا بالمصريين القدماء والهنود وغيرهم من الشعوب الأخرى، ولعلهم بهذا الاتصال جمعوا بين عقيدة الهنود في نهاية العالم وعقيدة المصريين في محاسبة الروح ووزن الأعمال(١).

(٣) الميل الفطري لمعرفة النفس:

فقد كان البحث في النفس سمة عامة بين الشعوب والأمم منذ أن خلق الله الخليقة إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها، بل إن الحقيقة التي أجمع عليها مؤرخو الأديان أنه ليس هناك جماعة إنسانية وجدت على ظهر الأرض دون أن تفكر في سر حياة الإنسان ومصدر وجوده ومبعث نشاطه ومبدأه و مصيره، واتخذ لها في هذه المسائل رأيًا معينًا حقًا أو باطلًا يقينًا أو ظنًا(٢).

كما ثبت من خلال الدراسة والبحث حتى عند بعض القبائل المنعزلة حس ديني يدفعهم إلي التفكير في سر خلقهم والهدف منه ومصير أرواحهم الذي ستئول إليه(٣).

(٤) الإيمان بالبعث:

كان الإيمان بالبعث لدى الفرس أحد العوامل التي دعتهم إلي العناية بالنفس والاهتمام بها، ذلك أنهم آمنوا بوجود عالم آخر يبعث فيه المرء ليجد فيه جزاء ما قدمه في هذه الدنيا.

هذا العالم هو عالم العدالة المطلقة ووقتها، فإن الله الحكيم سينتصر على

---

(١) الله كتاب في العقيدة الإلهية، لعباس العقاد صـ٦١، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) انظر: الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، د. محمد عبد الله دراز صـ٣٤/ دار العلم- الكويت ١٤١٠هـ.

(٣) انظر: التفكير الديني في العالم قبل الإسلام، ترجمة وتعليق د. عبد الرؤوف شلبي صـ٣٣٨، نشر دار الثقافة، الدوحة.

الروح الشريرة[١] ويقتص منها ويعطي كل ذي حق حقه، ولهذا ربطوا الجزاء بالعمل[٢].

حقيقة النفس عند الفرس:

لكي يتأتى للفرس فهم هذا العالم الذي أحيط بحجب كثيفة من الغموض، كان لابد لهم من الوقوف على حقيقة النفس، وانتهوا إلي أن النفس: (قوة داخل الإنسان مخلوقة لإله الخير تدفعه إلي ما يقوم به من عمل في هذه الدنيا وهي مختارة فيما تفعل، كما أنها ستحاسب على ما قدمته إن خيراً فخير، وإن شراً فشر)[٣]. من هذا التعريف نلمح فيه حرصاً من جانب الفرس إلي التزام النفس بالعمل الصالح حتى تنال الحياة الأبدية السعيدة، في حين أنها إذا مارست الشرور وحاربت إله الخير عوقبت بأشد ما يكون من عقاب.

قوى النفس عند الفرس:

قوى النفس من المسائل التي عرض لها الفرس أثناء حديثهم عن النفس، فقد رأوا أن نفس الإنسان خلقها الله بعد أن لم تكن، وهذه النفس يمكنها الوصول إلي الحياة الأبدية السعيدة إذا ما حاربت الشرور في العالم الأرضي وقد منحها الله حرية الإرادة وحباها بجملة من القوى تعينها على أداء وظائفها، وهذه القوى هي:

(١) الضمير والوجدان. (٢) القوة العقلية. (٣) القوة الحيوية. (٤) القوة الروحية.

---

(١) انظر: التفكير الديني في العالم قبل الإسلام، ترجمة وتعليق د. عبد الرؤوف شلبي صـ٣٣٨، نشر دار الثقافة، الدوحة.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) فجر الإسلام، أحمد أمين صـ١٥٩ مرجع سابق.

٥) القوة الواقية أو القراقاشي[١].

مصير النفس عند الفرس:

من المسائل التي لاقت اهتماماً لدى الفرس مسألة مصير النفس، فقد تصوروا أن مصيرها يبدأ عند الحساب.

(فعند باب هذا المعبر يوجد ثلاثة قضاة، وهناك ينصب ميزان توضع في إحدى كفتيه حسنات المؤمن وفي الأخرى سيئاته، وبناءًا على صعود إحدى الكفتين أو هبوطها تلقى النفس مصيرها)[٢].

وذلك بخلودها في نعيم وهناء أو جحيم وشقاء، هذا وقد دان الفرس بأن مصير أصحاب الجحيم النار، فهي مأوى أصحاب النفوس الخبيثة الذين استحلوا المحرمات واقترفوا الكبائر وذلك ليذوقوا فيها العذاب الأليم.

ويستمر الحال هكذا حتى تبدل الأرض غير الأرض، ويفنى كل من أهريمان وجنده وجميع من في الوجود من الأحياء ويبقى مزدا وسائر قوى الخير[٣]. ولكي تخلد النفس وتظل في نعيم لابد لها من إقامة العمل الصالح في الدنيا، والالتزام بالحسنات واجتياز قنطرة أو صراط ممتد فوق الجحيم وهذا الصراط يتسع أمام المؤمنين ويضيق أمام الأشرار[٤]. أما من تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيوضعون في

---

(١) **قراقاشي:** وهو عبارة عن شبح سماوي وهو في نفس الوقت ملك حارس وروح جوهرية، وقصارى القول هو الإنسان الحقيقي الذي ليس الكائن البشري إلا مظهراً له، وهو وحده الذي يستطيع أن يتصل (بأهورمزدا) ويحيى في حضرته، ولهذا عند الموت يفني الإنسان كله في هذا القراقاشي [انظر: الفلسفة الشرقية صـ١٩٤].

(٢) الفلسفة الشرقية صـ١٩٤ مصدر سابق.

(٣) الدين والفلسفة والعلم، محمود أبو الفيض المنوفي صـ١٠٦، الأسفار المقدسة، د. على عبد الواحد وافي صـ١٦٨.

(٤) الدين والفلسفة والعلم صـ١٠٦، الأسفار المقدسة صـ١٦٩ مرجع سابق.

مكان فسيح بين السماء والأرض يقاسون فيه الحر والبرد[١]، ولعلنا نلاحظ أن تصور الفرس قريب جداً من تصور قدماء المصريين، كما أنه يشابه إلي حد كبير ما دان به الهنود بالنسبة لمصير النفس.

٣- النفس عند الهنود:

لقد احتلت النفس عند الهنود مكانة عظيمة، ويؤكد ذلك أن الهنود كانت لهم دراسات عن النفس وعنايتهم بها وربما بسبب ما خلف من الرسالات السماوية، حيث تركيزها على النفس وجوداً ومصيراً، إضافة إلي التأثير الواضح بالمصريين القدماء.

يقول العقاد: (إن الديانة الهندية تأثرت واقتبست من الديانة المصرية قصة بدء الخلق في الهند شبيهة بقصة الأسطورة المصرية في ذلك، فالحياة خرجت من بيضة كانت تطفو على الماء والإله الأكبر كان ذكراً أو أنثى، فشكل الأحياء خرجت منه وهذا ما تقوله الأسطورة المصرية عن الإله رع)[٢].

حقيقة النفس عند الهنود:

النفس عند الهنود جوهر صافي خالد عالم مدرك تمام الإدراك، والإدراك ما دام منفصلاً عن الجسد فإذا فاض على الجسد واتصل به اعتكر صفاؤه ونقص علمه وقل بهاؤه.

وعلى هذا فالنفس (إذا تجردت عن المادة صارت عالمة، فإذا تلبست بها صارت جاهلة وظنت أنها الفاعلة، وأن أعمال الدنيا معدة لأجلها، فتمسكت بها وانطبعت المحسوسات فيها[٣].

---

(١) الدين والفلسفة والعلم صـ١٠٦، وانظر: التدين في الشرق القديم، د. عبد الستار مختار صـ٢٥٩.

(٢) الله: العقاد صـ٤٥.

(٣) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرزولة، للبيروني صـ٤١، عالم الكتب، بيروت.

(فالنفس في حكمة الهنود لها مقام معلوم)[١].

وإذا ما ذكرت ذكر مبدؤها ومصيرها، ومما يؤكد ذلك إطلاقهم عليها جوهراً كما أطلقوا عليها إنساناً، فالجسم بدونها باطل لا يستحق أن يدل عليه الإنسان كما تدل عليه النفس[٢]. ولهذا فإن النفس إذا ما أرادت أن ترقى مرتقى طيباً وجب عليها عدم التعلق بالمادة خصوصاً وأن في ذلك شقاءها وعذابها، ولذا فإن الإنسان إذا ما حرر نفسه من جميع علائق المادة وصل إلي درجة النجاة، وأن روحه عند الموت تنتقل على الفور إلي الجنة، وكلما كانت بعيدة عن علائق المادة كلما كانت أخف وزناً وأكثر قياً[٣].

أما إذا كانت تهوى البدن وتركته ولها أهواء وميول، فإن تحقيقها يتأتى لها بحلولها في جسم آخر [٤].

قوى النفس عند الهنود:

يرى قدماء الهنود أن للنفس قوى ثلاثة، هي:

(أ) الجسم المادي، وهذا الجسم يتحلل ويتفكك بالموت، ثم تتلاشى أجزاؤه في أصولها الناشئة عنها من عناصر المادة.

(ب) جسم دقيق شفاف وهو الذي يعتبر في الحقيقة الجوهر الصحيح للإنسان وهو الذي يتناسخ ويتقمص الأجسام الأخرى[٥].

(جـ) النفس وهو الواحد الحق المماثل كل المماثلة لجميع الآحاد الحق التي من

---

(١) في الفلسفة الإسلامية، د. إبراهيم مدكور جـ١/صـ١٢٣.

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرزولة صـ٤١.

(٣) تناسخ الأرواح، مصطفى الكيك صـ٢٣، منشأة المعارف، الإسكندرية.

(٤) مذكرات في الملل والنحل، د. محمد شلبي صـ١٢٠.

(٥) الفلسفة الشرقية صـ٥٩، مرجع سابق.

عالمه النفساني غير المتناهي[١].

خلود النفس عند الهنود:

اعتقد الهنود أن النفس خالدة باقية فهي لا تفنى بفناء الجسم ولا يعتريها الهلاك، ولهذا لا يتطرق إليها البلى بأي حال من الأحوال، وإذا ما نال منها فإنه لن يكون أكثر من قهرها على تغيير ثوبها الذي هو الجسم واستبداله بثوب آخر جديد يقدر تبعاً لأعمالها[٢].

فعقيدة خلود النفس قد رسخت في قلوب الهنود وآمنوا بها.

مصير النفس عند الهنود:

إن مصير النفس عند الهنود يتحدد تبعاً لما قدمت فإن هي تجردت عن الشوائب وعاشت متعلقة بالآلهة فإنها عند مفارقتها للبدن تعود إلي أصلها وتبلغ السعادة العظمى، فقد جاء أن الإنسان إذا مات أخذه الزبانية إلي ساحة القضاء وهناك يلقى مصيره فالنفس التي تهوى الجسد وتشتهي البدن، فإنه ينتهي بها إلي حيث هواها، ومن ثم نجد أن المسكن الذي يشبه النفس الخبيثة هو أن تتردد في النبات وحشائش الطير، أما السكن الذي يشبه النفس الطاهرة فإنه تصادق مرافقين وفوداً إلي أن تصل إلي الموضع الذي ينبغي لها[٣]. والموضوع الذي ينبغي لمن استحق الاعتلاء والثواب فإنه يصير كأحد الملائكة مخالطاً للمجامع الروحانية غير محجوب عن التصرف في السماوات والكون مع أهلها أو كأحد أجناس الروحانيين[٤].

---

(١) الفلسفة الشرقية صـ٦٠، الفكر الشرقي القديم، سلسلة عالم المعرفة صـ٢٠١.

(٢) الفلسفة الشرقية صـ١٥٣، مرجع سابق.

(٣) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرزولة صـ٤٨.

(٤) المصدر السابق صـ٤٨.

وأما أهل النفوس الأمارة بالسوء كالزناة والسارقين فإنهم يظلون في شقاء وعذاب دائم ويلقون في قرطاس ولا يخرجون منه أبداً على حين ينتهي مصير أصحاب النفوس اللوامة إلي موضع ينادون خصومهم ويسئلونهم الاقتصار على القصاص لينجو من الشرور، فإذا رضوا عنهم رفع العذاب وإلا ظلوا في عذاب وألم حتى يرضوا عنهم(١).

وبناء على ما تقدم: فإن مصير النفس مرهون بعملها في الحياة الأولى، ولهذا أوجبوا على النفس أن تتطهر من خطئها قبل وصولها إلي موضعها الذي يحدد(٢) لها تبعاً لعملها(٣). فإما أن تعود إلي أصلها وتبلغ السعادة العظمى وإما أن تحل في جسم آخر حيوان كان أم نباتاً حتى تتخلص من أوهامها.

(١) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرزولة صـ٥٠.

(٢) حقيقة الإنسان الكتاب الثاني، د. عيسى عبده، أحمد إسماعيل يحيى صـ٦٩، دار المعارف، ط٢.

(٣) الهنود قسموا النفس إلي لوامة وأمارة وصالحة وهذه نقطة تبين لنا أن للوحي دخل فيها [انظر: الإنسان في ظل الأديان، د. عمارة نجيب صـ١٩٦.

المبحث الثاني
النفس عند فلاسفة اليونان

وسوف أقصر الحديث عن النفس عند اليونان على بيان رأي سقراط[١] وأرسطو[٢].

أولا: رأي سقراط في النفس[٣].

---

(١) **سقراط:** (٤٧٠- ٤٠٠ ق. م) من أشهر فلاسفة الإغريق مؤسس فلسفة الأخلاق، ولد في مدينة أثينا وكان أبوه نقاشاً وأمه قابلة (داية)، اتخذ في بدء أمره مهنة أبيه ولكنه اتبع فيما بعد رأي صديقه المتري (كريتون) الذي ابتاع له مؤلفات (إنكسفوراس) فاعتنق الفلسفة وصار معلماً فشرع في تدريس الفلسفة في محلات أثينا العمومية وبساتينها وجاهد في سبيل الحق، وقد عرف عنه احترامه للناس ولنفسه وكان هادئاً متواضعاً حكيماً لا يرد سائلاً، وقد حصر مهنته في تثقيف الناس والبحث عن الحق والعودة بالمجتمع اليوناني إلي جادة الصواب، وقد وضع لنفسه برنامجاً لتحقيق هذه الغاية وهو منهج التهكم والتوليد، اتهم بإفساد الشباب والكفر فحكم عليه بتجرع السم فتجرعه ومات في سنة ٣٩٩ ق. م. [انظر: موسوعة الفلسفة، د. عبد الرحمن بدوي جـ١/صـ٥٧٦، المؤسسة العربية للدراسات، ط١/١٩٨٤م، مقدمة الفلسفة العامة، د. يحيى هويدي صـ٢٨٩، دار النهضة العربية صـ٩، سنة ١٩٧٩م].

(٢) **أرسطو:** (٣٨٤- ٣٢٢ ق.م) فيلسوف يوناني شهير ولد في بلدة (ستاجير) من بلاد مقدونيا، وينتمي لأسرة معروفة بالطب، فقد كان أبوه (نيقوماقوس) طبيباً، وقد لقنه أبوه منذ صغره المبادئ العلمية والطبية، ولما بلغ الثامنة عشر من عمره ذهب إلي أثينا وتتلمذ على يد أفلاطون ولازمه، ويلقب بالمعلم الأول لأنه أول من رتب المنطق ونظمه ولمؤلفاته أهمية كبيرة، وقد توفى سنة ٣٢١ ق.م بعد أن خلف وراءه تراثاً عظيماً في مختلف المجالات العلمية والنفسية والأخلاقية والسياسية [انظر: موسوعة الفلسفة، د. عبد الرحمن بدوي جـ١/صـ٩٨، الفلسفة، يوسف كرم صـ١١٢].

(٣) دراسات في الفلسفة الإسلامية، أ.د. محمود قاسم صـ٦، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، ط١/ ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م.

يقرب لنا سقراط حقيقة النفس فيقول عنها: (إن النفس تشبه الإلـــه أو هـــي أقرب الشبه الإلهي الخالد والمعقول وذوي الطبيعة الواحدة الذي لا يقـــع تحـــت حواسنا[١] ... من هذا النص يتضح لنا أن سقراط من وجهـــة نظـــره يـــرى أن النفس تشبه الإله إلي حد كبير، فكما أن الإله قوة خفية لا تقع تحت حسنا وتعجز عقولنا عن إدراك كنهها مع أنها ترى وتسمع وتحيط بكل شيء علماً وقدرة وعناية ... كذلك (النفس) فإنها وإن خفيت على حسنا فإنها توجد في الجسم وتقوم بتدبيره والعناية به[٢].

ونلاحظ أيضاً من خلال النص السابق: أن سقراط يرى أن الإله خلق الإنسان في أحسن تقويم ولكنه عنى بنفسه أكثر من عنايته بجسمه، والدليل علـــى أن النفـــوس البشرية أسمى النفوس وأعلاها مرتبة، فهي وحدها تبقى دون الجسد، كما أنها هـــي التي تستطيع وحدها أن ترقى إلي معرفة الله، كما أنها تستطيع أن تتجنب كـــل مـــا يؤلمها وتحتفظ في ذاكرتها بكل ما تحسه وتدركه وتستفيد من كل ما ينفعها[٣].

قوى النفس ووظائفها:

ذهب سقراط إلي القول بوجود قوى أربع للنفس هي:

(أ) القوى العاقلة: وهي أساس التفاضل بين الإنسان وغيره، فالإنسان يفـــوض عقله بيدي أحكاماً ويربط بعضها ببعض وفقاً لقوانين تقوده إلي معرفـــة الصـــواب والتفريق بينه وبين الباطل كما أنها تفرض معرفة الحدود التي يستطيع العقل أن يتعداها فترشد الإنسان إلي مدى معرفته ومدى صحته[٤].

---

(١) انظر (فيدون) في خلود النفس، ترجمة/عزت قرني صـــ٢٠١، ٢٠٢، مكتبة الحرية، ط٢.

(٢) انظر: كتاب النفس والعقل لفلاسفة الإغريق واليونان، د. محمود قاسم صـــ٢٣.

(٣) المصدر السابق صـــ٢٩.

(٤) تاريخ الفلسفة العربية، خليل الجر، حنا الفاخوري جـــ١/صـــ١٩/ دار الجيل/ بيروت/ لبنان ط٢ ١٩٨٢م

(ب) **القوى الحيوانية**: وهي مشتركة بين الإنسان والحيوان ومقرها الجزء الأسفل.

(جـ) **القوى العصبية**: ومقرها الصدر.

(د) **القوى الغازية**: ومقرها البطن[١].

مصير النفس:

إن مسألة مصير النفس من المسائل التي عنيت بها الفلسفة عناية فائقة منذ عهد سقراط فأصبح يوجد هناك فرضان لمصير النفس:

أحدهما: إما أن تصعد إلي الآلهة الخالدة.

والثاني: أن كل شيء ينتهي مع موت الجسد[٢].

ولهذا رأى سقراط بأن النفس إذا تخلصت من سجنها وتدربت على الفلسفة فإن أمرها ينتهي بها حيث مأواها الأول، وإلا هامت حول القبور على هيئة الأشباح إلي أن ينتهي مطافها بالهبوط في جسد آخر مرة أخرى[٣].

وواضح مما تقدم أن سقراط يفرق بين مصيرين للنفس: نفس اختارت الصالح في الدنيا ففازت بالسكن بجوار الإله، وأخرى متعلقة ببدنها فانتهى بها مآلها إلي السكن في جسد آخر حيواناً كان أم إنساناً.

خلود النفس:

يرى كثير من الباحثين أن سقراط كان يؤمن بخلود النفس واستمتاعها بحياة أخرى طويلة [٤].

ومما يؤكد ذلك قوله لتلاميذه عندما عرضوا عليه الهروب:

---

(١) الفلسفة الإغريقية جـ١/صـ٢٦٠.

(٢) المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية، أودلف كبجين، ترجمة/ عزت قرني صـ٣٤٥، مصدر سابق.

(٣) المصدر السابق صـ٣٤٥.

(٤) الفلسفة العامة وتاريخها، د. محمد غلاب جـ١/صـ١٩٨.

لولا اعتقادي بأنني سوف أذهب صوب آلهة أخرى حليمة ورحيمة، ثم بعد ذلك نحو رجال ماتوا وهم من خيرة رجال هذه الدنيا لكان من الخطأ الفاحش ألا تثور نفسي ضد الموت، وحينئذ فلا وجود لنفس الأسباب التي تدعوني إلي الثورة في هذه الظروف ولكن على العكس من ذلك كبير الأمل في أن هناك شيئاً وراء الموت[١].... ولا شك أن ما وراء الموت هو خلود النفس الذي تلقى فيه مصيرها فكأن خلودها في سعادة أو شقاء ثمناً لحياتها الأولى على وجه الأرض[٢].

والخلاصة أن سقراط يؤمن إيماناً عميقاً بخلود النفس ويعتقد اعتقاداً راسخاً ببقائها، ولهذا عاب سقراط على من ظن في الموت شراً وذلك لأن الموت (إما أن يكون نعاساً طويلاً وهذا لا شك في خيريته، وإما أن يكون انتقالاً للروح أو للنفس من عالم إلي عالم آخر وكلاهما خير)[٣].

قدم النفس:

يرى سقراط (أن النفوس الإنسانية كانت موجودة قبل وجود الأبدان)[٤]. وأنها كانت متصلة بالمصدر الأول ثم اتصلت بالأبدان استكمالاً واستدامة والأبدان قوالبها وآلاتها فتبطل الأبدان أي بالموت وترجع إلي مصدرها[٥] ... وبناء على هذا فإن النفس قد هبطت من عالمها الأول إلي الجسد وحلت فيه لتستكمل شيئاً ينقصها.

ولما كان سقراط قد ذهب إلي القول بثنائية الإنسان وأنه مركب من نفس وجسد

---

(١) في النفس والعقل صـ٢٩.
(٢) تاريخ الفكر الفلسفي، د. أبو ريان جـ١/صـ١٣٩.
(٣) تاريخ الفكر الفلسفي جـ١/صـ١٣٢.
(٤) الملل والنحل للشهرستانى جـ١/صـ٤٠٣.
(٥) نفس المصدر السابق صـ١٠٤.

فلابد من وجود علاقة بينهما، وهذه العلاقة وثيقة لا يمكن إغفالهـــا أو إنكارهـــا تتمثل في أن السيادة للنفس وذلك لجوهريتها، هذا بالإضافة إلى أنها قائدة الجسم وملهمته شريطة أن يدرك الجسم جوهرها وهو العقل(١) فهو قُوامها وجوهرها.

وقد رأى سقراط أن اتصال النفس بالبدن إنما هو استكمال واستدامة لها، حيـــث إنها كانت موجودة قبل وجود الأبدان ثم اتصلت بالأبدان ثم تعود مـــرة أخـــرى حيث مكانها الأول.

ثانيا: أرسطو ورأيه في النفس الإنسانية.

يعد أرسطو من الفلاسفة الذين اهتموا اهتماماً كبيراً بمسألة النفس، فقد عرَّف النفس بأنها: (ما به نحيا ونحس وننتقل من مكان لآخر ونعقل الأفعال)(٢). ويبدوا أنه في هذا التعريف يركز فيه على قوى النفس ووظائفها، ويتبين أيضاً أنه قـــد جعل أن الجسم والنفس جوهراً واحداً، فالإنسان يتكون من جوهر واحد له مادة وصورة، فالمادة هي الجسم، والصورة هي النفس، ولا انفكاك بينهما، والـــنفس فيما يرى أرسطو غير منقسمة إلي أجزاء (مستنداً إلي أنها لو انقسمت لزالت علـــة وحدتها، فليس هناك – فيما يرى أرسطو – سوى نفس واحدة فـــي الجســـم ولهـــا وظائف مختلفة تؤديها باختلاف قواها.

فالنفس في رأي أرسطو واحدة، وأنها في الجسم كله، ويقابل أفعالهـــا المتعـــددة قوى متعددة. يقول أرسطو: (إن النفس واحدة بالفعل كثيرة بالقوى)(٣).

وبيان ذلك في شيء من التفصيل كما يلي:

---

(١) مدخل إلي الفلسفة صـــ٤٨.

(٢) النفس أرسطو طاليس، د. الأهواني صـــ٤٢، ٤٣.

(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية، د. يوسف كرم صـــ١٥٥ بتصرف.

قوى النفس ووظائفها:

يقسم أرسطو قوى النفس إلي ثلاثة أقسام:

(١) القوة الغاذية.

(٢) القوة الحاسة.

(٣) القوة الناطقة.

أولا: القوة الغاذية.

بمعنى تتغذى من الغذاء، وهي مشتركة بين الإنسان والحيوان، وهذه القوى أول ما يوجد في سائر الأشياء (وهي قوة شائعة بما يحيى الجميع وهي أولى القوى وأعمها)[١]... ولها وظيفتان هما النمو والتولد، فالنمو بقبول الكائنات للغذاء، والتولد لحفظ النوع.

(وليست التغذية مجرد إضافة مادية، كما أن النمو للكائن الحي ليس ناتجاً عن مجرد فصل العناصر الداخلية في تركيبه، وإنما هي عناصر مساعدة فقط والفاعل هو النفس)[٢].

وقد رأى أرسطو أن الغذاء فاعل التولد، فالشخص الذي يحرم نفسه من الغذاء لا يمكن أن يعيش[٣]... فالقوة الغاذية لابد منها حيث إنها علة الغذاء والتوليد.

ثانيا: القوة الحاسة.

وهي القوة التي عن طريقها يتم إدراك المحسوسات والإحساس تمثيلي كالغذاء[٤].

والفرق بينهما أن مادة الغذاء وصورته يدخلان الجسم ويتحولان إلي طبيعته، أما في الإحساس فلا تلتقط الحواس إلا صورة المحسوس... والمحسوسات ثلاثة

---

(١) النفس لأرسطو، ترجمة د. عبد الرحمن بدوي صـ٣٧.

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم صـ١٥٦.

(٣) النفس، لأرسطو، تحقيق د. الأهواني صـ٥٧.

(٤) تاريخ الفلسفة العربية، د. جميل صليبة صـ٨٠.

أنواع:

(١) نوع خاص بكل حاسة على حده ولا تستطيع حاسة أخرى أن تحسه، ويستحيل أن يقع الخطأ منه، ومثال ذلك حاسة البصر وحاسة اللون والسمع وحاسة الصوت[١].

(٢) المحسوسات المشتركة كالحركة والسكون والشكل والمقدار، وهي أمور تدركها الحواس جميعاً وذلك عن طريق الحركة[٢].

(٣) المحسوسات بالعرض كإدراكنا أن الأبيض ابن فلان، فإدراك المدرك إياه من هذه الجهة إنما هو إدراك عرضي، لأن اتصافه بالأبيض اتصاف عرضي والحس لا ينفعل به[٣].

أما الحواس فتتنوع إلي نوعين: حواس ظاهرة، وحواس باطنة.

أما الحواس الظاهرة: فهي الحواس الظاهرة المعروفة وهي البصر والشم والسمع والذوق واللمس، وهي مرتبة على هذا النحو تبعاً لأثرها في الإدراك، ولها ترتيب آخر على العكس من هذا الترتيب على حسب أثرها في حفظ حياة الحيوان – بحيث يأتي اللمس في مقدمتها لأنه ضروري لوجود الحيوان بحيث لا يخلو منه حيوان وقد يخلو من أي حاسة أخرى وبه كان الحيوان حساساً)[٤].

كما أنه أدق الحواس في الإنسان وبدونه لا يستطيع أن يعيش أي حيوان[٥]. فعن طريقه يستطيع أن يميز بين النافع والضار واللاذ والمؤلم وهو أساس النزوع،[٦].

---

(١) النفس، تعليق د. الأهواني صـ٦٣ بتصرف.

(٢) المرجع السابق صـ٦٤.

(٣) المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٤) أضواء على الفلسفة اليونانية، د. صلاح عبد العليم صـ١٧٦.

(٥) النفس، تعليق د. بدوي صـ٥٦، ٦٠ بتصرف.

(٦) تاريخ الفلسفة العربية، جميل صليبا صـ٨٢.

ولذا فقد رأى أرسطو أن اللمس منتشر في الجسم كله (وجميع الحواس مركبة عليه ولا يؤدي وظيفته دائماً أو على الأقل لا يحس دائماً جميع الكيفيات التي يستطيع أن يحسها، وذلك لأن النفس الحاسة ليست مادية)[١].

ويلي اللمس الذوق لأنه مرتب لحفظ الحيوان ولا يمكن الاستغناء عنه، ولذلك كان الذوق ضرباً من اللمس حيث إنه حاسة الغذاء والغذاء هو للجسم الملموس[٢].

وبناءًا على ما تقدم فلا يمكن للحيوان الاستغناء عن حاسة اللمس والتذوق، ثم يلي الذوق الشم وموضوعه الرائحة، ويحصل الشم عن طريق توسط الهواء والماء لا عن طريق المماسة بين المشموم وعضو الشم، فالإنسان لا يشم بدون تنفس[٣].

ثم يلي الشم السمع وقد رأى أرسطو أنه لكي يتحقق السماع لابد من توافر شروط ثلاثة هي: القوة التي لها القدرة على إحداث الصوت بالفعل، والمتوسط بين المقروع وعضو السمع وأداة السمع وهي الأذن[٤]. وبدون الشروط الثلاثة لا يتم السماع، وقد رأى أرسطو أن علة السمع هو الخلاء[٥].

ثم يلي السمع البصر وأول ما يقابلنا بالنسبة للبصر (أن المرئ هو اللون، واللون هو الذي يوجد على سطح المرئ، وهذا هو السبب في غياب الأبصار إذا غاب الضوء، لأن الضوء شيء ذو صفاء، وهذا الصفاء شيء منظور إليه لا بذاته وإنما بسبب لون غريب داخل فيه[٦].

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم صـ١٥٧.
(٢) النفس، تحقيق د. الأهواني صـ١٢٩.
(٣) تاريخ الفكر جـ١/صـ١٤٣.
(٤) النفس، تعليق د. الأهواني صـ٨٠.
(٥) المرجع السابق صـ٧٠.
(٦) نفس المصدر السابق صـ٦٩.

وقد رأى أرسطو أن تعدد الحواس الخمس يؤدي إلي تسهيل معرفة الكيفيات المشتركة بين المحسوسات كالحركة والعدد والحجم.

أما الحواس الباطنة: وهى: الحس المشترك والمُخيِّلة والذاكرة.

(١) **الحس المشترك**[١]:

وقد سمي بذلك لاشتراكه بين الحواس الظاهرة، فهو ليس بحاسة سادسة، وللحس المشترك وظائف ثلاث وهي:

(أ) إدراك المحسوسات المشتركة بين أكثر من حاسة كإدراك الوحدة والشكل والحركة والسكون[٢].

(ب) إدراك موضوعات معلومة لا تستطيع الحواس الأخرى إدراكها. فعن طريق الحس المشترك يدرك الإنسان أنه يدرك فيستطيع إدراك نفسه رائياً أو سامعاً، حيث إن الحس لا ينفك عن ذاته[٣].

(جـ) التمييز بين المحسوسات في كل حس باعتباره حساً، وذلك كالتمييز بين الأبيض والأسود والأخضر وهكذا[٤].

(٢) **المخيلة:**

هي الحاسة الثانية من الحواس الباطنة، وهي قوة باطنية تستعيد الأثر الذي تركه الإحساس في النفس، فعن طريقها يتم حفظ الإدراك واستعادة الصورة بعد غيبتها عن الشيء، كما أنها منبع الصور التي تتراءى لنا في الأحلام وأثناء النوم[٥].

---

(١) النجاة لأبو علي بن سينا صـ٢٠٧ مطبعة السعادة/ القاهرة/ بدون.

(٢) النفس، تحقيق د. الأهواني صـ٩٥.

(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم صـ١٦١.

(٤) المصدر السابق صـ٣٢٤.

(٥) محاضرات في الفلسفة، د /عبد العزيز عبيد وزميله صـ٦٤، ط/دار الاتحاد.

(٣) الذاكرة:

وهي القائمة على المخيلة وهي قوة تربط بين الإحساس الحالي والإحساس السابق حيث إن التذكر ممتنع من غير التخيل وهما في بعض الحالات يتشابهان إلي حد يتعذر معه التفريق بينهما غير أنهما يفترقان في أن المخيلة تقتصر على إدراك الصورة بينما الذاكرة تدرك أن هذه الصورة هي صورة شيء قد سبق إدراكه فلا يتعلق بالماضي[١].

فأرسطو يعد أول عالم نفساني في العصر القديم تكلم عن الحس الباطن وناقش مسألة الحس المشترك والتخيل والذاكرة باعتبارها تتعلق بالنفس الحاسة[٢].

ثالثا: القوى العاقلة.

وهي العقل الذي يمتاز به الإنسان عن الحيوان، وقد جمعت وظائف القوتين السابقتين أي القوى الغازية والحاسة، ولذلك وضعها أرسطو فوقهما، وقد رأى أنها زادت عليهما بوجود وظيفتين خاصتين بها وهي العقل والإرادة، فالعقل يقوم بإدراك المجردات وله فعلان هي الحكم والاستدلال[٣]. أي تأليف المعاني المجردة من معان وأقيسة للانتقال من المعلوم إلي المجهول، وأما الإرادة فهي القوى النازعة إلي الخير وهو خير معنوي روحي كالفضيلة ومحبة الله، ولذا يجب أن تكون الإرادة روحية تبعاً لإدراك العقل، كما أن النزوح الحسي تابع لإدراك الحس[٤]. وانتهى أرسطو إلي أن القوى العاقلة خاصة بالإنسان وحده، ولذا اختلفت عن باقي قوى النفس في وظائفها، حيث إنها غير مرتبطة بالجسد[٥].

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية، د. عوض الله حجازي، د. محمد السيد نعيم، بتصرف صـ١٤٠.

(٢) المصدر السابق صـ١٤٠.

(٣) دروس في تاريخ الفلسفة، د. إبراهيم مدكور صـ٧٠.

(٤) أضواء على الفلسفة اليونانية، د. صلاح عبد العليم صـ١٧٧.

(٥) الفلسفة عند اليونان، د. أميرة مطر صـ٣٢٥.

وقد نص أرسطو على مفارقة العقل للبدن، والدليل على ذلك ما نشاهده من خلال المقارنة بين عمل العقل وعمل أي حاسة، فمع كثرة الإحساس تضعف الحاسة ولا تتمكن من أداء وظائفها، أما العقل فعلى العكس من ذلك تزداد قدرته على تعقل البسيط بعد إدراك المركب(١).

❖ مصير النفس:

قضية خلود النفس وحنينها إلي مصدرها لم تشغل بال أرسطو مثلما ذهب سلفه أفلاطون، بل إن مذهبه يقضي حتماً إلي القول بفناء النفس وفناء الجسد(٢).

لذا فابن رشد يرى أن أرسطو لم يقل بالخلود إطلاقاً(٣)، وهذا مبني على رأيه (أي أرسطو) في طبيعة النفس، والنفس عنده متصلة بالبدن، فوجودها بوجوده وتنتهي بانتهائه، فهي لا توجد قبله ولا يمكن أن توجد بعده، فمنطق أرسطو بفناء النفس الإنسانية بفناء جسدها.

بينما هناك من يرى أنه آمن بخلود(٤) النفس وقال به إلا أنه ميز بين العقل والعقل المنفعل، فالعقل الفعال خالد أبدي غير فان وغير قابل للفساد(٥) حيث إنه لا بداية ولا نهاية ويأتي للجسم من الخارج ويفارقه عند الموت، في حين أن العقل المنفعل فان وغير خالد(٦).

---

(١) الفلسفة عند اليونان، د. أميرة مطر صـ٣٢٥.

(٢) نظرية النفس عند ابن سينا والغزالي، د. جمال الدين رجب سيدبلي صـ١١١- الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠م.

(٣) تاريخ الفلسفة العربية جـ١/صـ٢٥٩.

(٤) الفلسفة الإغريقية جـ٢/صـ٨٨.

(٥) الفلسفة اليونانية صـ٣٠٣.

(٦) تاريخ الفلسفة، أميل برجييه جـ١/صـ٣٠٣٠ بتصرف يسير.

المبحث الثالث
النفس عند فلاسفة المسلمين

أولى فلاسفة الإسلام حقيقة النفس عناية فائقة واهتمام بالغ نتيجة ما عرفوه من المذاهب اليونانية عن النفس بعد انتقال الفلسفة اليونانية إلي العربية ونتيجة هضمهم لهذه المذاهب، فأخذوا منها ما أخذوا وأضافوا إليها ما استطاعوا إضافته.

وسوف نتخذ الكندي[1] مثالاً لفلاسفة الإسلام، فنعرض مذهبه في النفس، مبينين ما أخذه عن اليونان وما أضافه من جديد، وسوف أقتصر على عرض رأي الكندي في النفس دون غيره من فلاسفة الإسلام، وذلك خشية التطويل، وبيان ذلك كما يلي:

*** النفس عند الكندي:**

يعرف الكندي النفس بأنها: تمام جرم طبيعي ذي آلة قابلة للحياة. ويعرفها أيضاً

---

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، ويسمى فيلسوف العرب، ينسب إلى قبيلة كندة العربية، ولد في أواخر القرن الثاني الهجري في مدينة الكوفة، ألم بكثير من اللغات الموجودة في هذا العصر، له مؤلفات عدة في مختلف العلوم مثل: المنطق، والفلسفة، والهندسة، والنجوم إلى غير ذلك.
يراجع في ذلك: الفهرست لابن النديم/ تقديم دكتور/ يوسف علي طويل ص ٤١٤/ ط الأولى ١٩٩٦م/ دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان، في الفلسفة الإسلامية وصلتها بالفلسفة اليونانية/ د. محمد السيد نعيم، د. عوض الله جاد حجازي ص ١٧٨: ١٨٤ باختصار، فيلسوف العرب والمعلم السامي/ مصطفى عبد الرازق/ ص٨: ٢٩ باختصار/ مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة/ القاهرة – جمهورية مصر العربية، الكندي فيلسوف العرب/ د. أحمد فؤاد الأهواني/ ص ١٦ وما بعدها/ المؤسسة المصرية العامة للتعليم والترجمة والطباعة والنشر/ بدون.

بأنها: (استكمال أول لجسم طبيعي ذي حياة بالقوة)[١].

ويضيف الكندي تعريفاً ثالثاً يكشف لنا فيه عن طبيعة النفس لديه بأنها طبيعة ليست جسمانية وإنما هي جوهر عقلي مجرد فيقول: (النفس جوهر عقلي متحرك من ذاته)[٢].

ويلاحظ في التعريف الأول أن النفس تمام الجرم والجرم هنا أعم من الإنسان، وعليه فإن النفس عنده أعم من النفس الإنسانية، وإن كان حديثنا هنا قاصر على النفس الإنسانية فقط. أما أنه جرم طبيعي فليخرج بهذا الأجرام الصناعية قوله (ذي آلة)، بمعنى أنه له آلات يستعين بها في حياته أو أنه يقوم بأفعاله بواسطة آلات هي أعضاء الإنسان المختلفة وقابليته للحياة يشير إلي أن الأجرام الساكنة كالجمادات لا نفس لها أو أن فيها استعداداً للحياة ولقبول قوى النفس.

ويلاحظ في التعريف الثاني: أن النفس (استكمال أول) والمعروف أن (الكمال الأول) هو الذي يصير النوع به نوعاً وبتفسير آخر لمعنى (استكمال) يعني أنه بها يكمل الجنس فيصبح نوعاً أي أنه بها يكمل الجرم الطبيعي فيصبح إنساناً.

النفس عند الكندي جوهر بسيط ذات شرف وكمال هبط من عالم العقل إلي عالم الحس، وهي لا تطمئن في العالم الحسي بسبب ما لها من مطالب وحاجات تحول دون إرضائها الحوائل ولا تتكشف لها الأشياء إلا بعد مفارقتها للبدن.

يقول الكندي: (النفس بسيطة جوهرها من جواهر الله وهي نور من نوره وإذا فارقت البدن انكشفت لها الأشياء كلها وصارت شبيهة بالله والجري وراء اللذات يحول دون معرفة الأشياء الشريفة، وإذا اتصلت النفس بالنظر في حقائق الأشياء

(١) انظر: رسائل الكندي صـ١١٣.

(٢) المصدر السابق.

ظهرت فيها الأشياء كما تظهر في مرآة صقلية وإذا فارقت البدن إلتذت لذة كبيرة)[١].

فهي عنده جوهر روحاني لا يوجد فرق بينها وبين محتواها العقلي أو محتواها الحسي المجرد لأنها جوهر إلهي شريف وهي ليست جسماً وقادرة على أن تتخطى حدود الجسم إذا تحررت من علائق الشهوة والغضب وتفرغت للنظر والبحث.

يقول الدكتور أحمد فؤاد الأهواني: (إذا فارقت النفس البدن صارت في عالم الحق الذي فيه نور الباري سبحانه وإذا تجردت وفارقت هذا البدن صارت في عالم العقل فوق الفلك وصارت في نور الباري ورأت الباري (ﷻ) وطابقت نوره وحلت في ملكوته)[٢].

ويتضح من ذلك أن الكندي يتجه إلي النزوع نحو الزهد والابتعاد عن لذائذ الدنيا وشهواتها ويفضل النظر والبحث في حقائق الأشياء والاعتقاد الجازم ببقاء النفس بعد مفارقتها البدن.

والحق أن رأي الكندي في النفس يظهر فيه تأثره الواضح بأفلاطون.

يقول الدكتور الأهواني: كان الكندي أكثر ميلاً إلي مذهب أفلاطون في النفس منه إلي مذهب أرسطو، ولعل السبب في ذلك يرجع إلي قرب المذهب الأفلاطوني من التعاليم الإسلامية – فيما يرى الدكتور الأهواني – الذي يذهب إلي أن روح الإنسان إنما هي نفخة من روح الله والتي تحس على ضبط الإنسان لأهوائه وشهواته لكي ينعم بالسعادة في الدنيا والآخرة)[٣].

---

(١) انظر: رسالة الكندي في النفس، للكندي، تحقيق د. أبو ريدة صـ٦٣، دار الكتب المصرية.

(٢) انظر: الكندي فيلسوف العرب، د. الأهواني صـ٢٣٧.

(٣) المصدر السابق صـ١٠٠، ١٠١، ط/دار الشعب.

*** قوى النفس عند الكندي:**

يقسم الكندي قوى النفس على النحو التالي:

(١) **قوة حسية:**

وهي التي تدرك صور المحسوسات الخارجية المتعلقة بمادتها وآلات هذه القوى هي الحواس الخمسة المعروفة وهي السمع والبصر والذوق والشم واللمس، وهذه القوى عند الكندي مدركاتها مقيدة وقد تكون مشوشة ولا تعمل إلا أثناء اليقظة وهي محدودة بحدود المادة وقد يعتريها الضعف من جهتين، من جهة آلاتها وهي ما يسميها الكندي آلات الثواني، ومن جهة مصدرها الأول وهو المخ(١).

(٢) **قوة متوسطة:**

وهي تتكون من عدة قوى هي:

(أ) القوى المصورة (أي المتخيلة) وهي التي تدرك صور المحسوسات مجردة عن مادتها، وتتحضرها مع غيبة محسوساتها الخارجية، وهي تستطيع أن تركب صور المحسوسات بعضها إلى بعض سواء في اليقظة أو في المنام أثناء الأحلام، كأن تكونِ مثلاً إنساناً له قرن أو ريش أو حيوان يتكلم)(٢).

(ب) **القوى الحافظة:**

وهي التي تحفظ صور المحسوسات التي تؤديها إليها القوى المصورة.

(جـ) **القوة الغضبية:**

وهي التي تدفع الإنسان إلي الغلبة لدفع ما يؤذيه والدفاع عن نفسه.

(د) **القوة الشهوانية:**

وهي التي تدفع الإنسان إلى نيل ما يشتهيه.

---

(١) رسائل الكندي صـ٢٩٤، ٢٩٥.

(٢) رسائل الكندي الفلسفية صـ٢٩٥ – ٢٩٩.

(هـ) **القوة الغاذية:**

وهي التي بها يتم تحصيل الغذاء وتمثيله في الجسم.

(و) **القوة المنمية أو (النامية):**

وهي التي تقوم بوظيفة النمو.

ويذهب الكندي إلى أن مركز جميع هذه القوى النفسانية في الدماغ (المخ)[١].

*** القوة العاقلة:**

وهي القوة التي تدرك المعقولات مجردة، وهذه القوة العاقلة قد تكون:

(أ) **عاقلة بالقوة:** قبل أن تتحد بها المعقولات.

(ب) **عاقلة بالفعل:** عندما تتحد بها المعقولات.

والذي يخرج القوة العاقلة من القوة إلي الفعل إنما هو اتحادها بالمعقولات.

يقول الكندي: (والنفس عاقلة بالفعل عند اتحاد الأنواع بها، وقبل اتحادها بها كانت عاقلة بالقوة وكل شيء هو كشيء بالقوة، فإنما يخرجه الفعل شيء آخر، وهو ذلك المخرج من القوة إلى الفعل بالفعل، والذي أخرج النفس التي هي عاقلة بالقوة إلى أن صارت عاقلة بالفعل، أعني متحدة بها أنواع الأشياء وأجناسها، أعني كلياتها، وهي كليات أعيانها، فإنها باتحادها بالنفس صارت النفس عاقلة)[٢].

ويرى الكندي أن طبيعة النفس مباينة لطبيعة الجسد، وأن الإنسان استحق مرتبة الإنسانية بنفسه لا ببدنه وأنها ذات شرف وكمال وهي نور الباري بذلك بسيطة وهي أيضاً مباينة للجسم وهي جوهر إلهي روحاني.

---

(١) الفكر الفلسفي في الإسلام، د. أبو ريان صـ٢٣٩.

(٢) من رسالة الكندي إلي المعتصم بالله في الفلسفة الأولى، تحقيق د. الأهواني صـ١٣، ط١، دار إحياء الكتب العربية.

ويستدل الكندي على مباينة النفس للجسم بأن النفس تضبط القوة الغضبية إذا اهتمت بفعل شيء مكروه كما يضبط الفارس فرسه ويكبح جماحه.

وكما أن الفرس غير الفارس فكذلك القوة التي تضبط بها غير النفس وإلا لكان الشيء يكبح نفسه وهذا ظاهر البطلان وكذلك القوة الشهوية وهي التي تتوق في بعض الأوقات إلي بعض الشهوات أو قد تتوق لفعل شيء يرى الفكر أنه ممنوع بصفتها، وهذا دليل أيضاً على أن المانع غير الممنوع)[1].

كما يستدل الكندي على مباينة النفس للبدن فيقول بعد استعراضه لآراء أفلاطون وأرسطو مستدلاً على إثبات رأيه: (لو كانت النفس جسماً فلا يخلو الحال إما أن تكون في حيز العالم أو خارج عنه لا جائز أن تكون خارج العالم، لأنها لو كانت خارج العالم ما أثرت في الجسم، كذلك ولو كان في حيز العالم لكانت جرماً جسماً)[2].

فلو بحثنا في آراء الكندي عن إجابته عن السؤال القائل: هل النفس قديمة أم حادثة؟ لم نجد جواباً صريحاً.

لكن قول الكندي بحدوث العالم وتعريف العالم بأنه (ما سوى الله) يجعلنا نجذم بأن الكندي يقول بحدوث النفس.

أما بالنسبة لخلودها فيرى: أن النفس جوهر منفرد عن الجسم مباين له ذاهباً إلي خلود النفس بأنها باقية بعد فناء الجسد (فهو يرى أن النفس باقية وأنها لا تفنى بفناء الجسد، بل إنها إذا فارقت البدن انكشف لها من العلوم والمعارف ما كان خفياً عنها وهي في صحبة هذا الجسم المظلم، ويبدو أن هذا الانكشاف لا يتم لجميع القوى على درجة واحدة بل إن درجاتها تتفاوت على أساس مراتبها في

(١) رسائل الكندي صـ٢٢٧.

(٢) تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، د. أبو ريان صـ٢٤٩.

الدنيا، فإن الذين استطاعوا أن يضبطوا أنفسهم وأن يسيطروا على قوتي الشهوة والغضب في أكمل درجات الانكشاف والملاحظ أن الكندي مقتنع برأي أفلاطون ويستدل به، ولكن هل قال الكندي بخلود النفس لمجرد تقليده أفلاطون أو تأثره به؟

الحق: أن الكندي لم يقل هذا إلا لسببين:

الأول: أنه كفيلسوف مسلم وجد أن القرآن الكريم يعلن صراحة عن خلود النفس وبقائها.

الثاني: اقتناعه بالفكرة ذاتها ولا بأس حينئذ أن يستدل في مقام إثباتها كفيلسوف برأي فيلسوف آخر.

والذي جعلني أجزم بهذا أن الكندي وحده لم يروي من الآراء إلا ما كان مقتنعاً به بغض النظر عن قائله.

العلاقة بين الجسم والنفس:

إذا كان الكندي يرى أن طبيعتي النفس والجسم مختلفتين، فالجسم مادي كثيف ظلماني والنفس جوهر روحاني فعلي أي أساس يفسر الصلة بينهما؟ نراه يفسر العلاقة بينهما على أساس أنها علاقة قائمة في هذه الحياة الدنيا ومنزلتها في صحبة الجسم كمنزلة عابر سبيل وأنها أثناء صحبتها له تدبره وترعاه غير أنه يحذر من أن تدنس النفس أثناء رحلتها مع الجسم في هذه المرحلة القصيرة التي تعود بعدها إلي مأواها ومقرها(١).

ويرى الكندي أن للنفس الناطقة خصائص فهي عالمة يقظة بذاتها وهي بذلك لا تغفل ولا تفتر أثناء صحبتها للجسم وهي تعمل في اليقظة والنوم، بل نلاحظ أن عمل النفس في النوم عنده أكمل من عملها في اليقظة لأنها أثناء النوم لا تنتقل

(١) رسائل الكندي الفلسفية صـ٢٧٧ – ٢٨٤.

بما تعرضه لها الحوادث من معلومات، وهو لذلك يقول: (أن النفس إذا صفت رأت في النوم عجائب من الأحلام وقابلتها الأنفس التي قد فارقت الأبدان، وأفاض عليها الباري من نوره ورحمته فتتلذذ حينئذ لذة دائمة فوق كل لذة تكون بالمطعم والمشرب والنكاح والسماع والنظر والشم واللمس، لأن هذه اللذات حسية وتلك لذة إلهية روحانية ملكوتية تكسب الشرف الأعظم، والشقي المغرور من رضي لنفسه بلذات الحس وكانت هي أقصى أغراضه ومنتهى غايته)[1].

والكندي بهذا يؤكد عمل النفس يقظة ومناماً طوال رحلتها مع البدن، وبهذا يعتبر الكندي أول من قال من فلاسفة المسلمين أن عمل النفس وإدراكها لا يتوقف يقظة أو مناماً.

(١) رسائل الكندي الفلسفية صـ٢٧٧ – ٢٨٤.

الخاتمة

الحمد لله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، والشكر لله على توفيقه وامتنانه، والصلاة **والسلام** على نبينا محمد (ﷺ) وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم إلى يوم الدين.

أما بعد،،

فبعد إتمام هذا البحث فقد أسفر على عدة نتائج يمكن تلخيصها فيما يلي:

(١) بين القرآن الكريم أن النفس عندما تصل لمرتبة اللوامة يصبح الإنسان صاحب ضمير يقظ عندما يخالف منهج الله أو يقصر في طاعة الله.

(٢) إن الحديث عن النفس الإنسانية والاهتمام بها لم تختص به أمة دون أمة، أو عصر دون عصر، بل هو سمة عامة للشعوب كلها فما من شعب إلا وبحث عن تلك القوة التي تسكن داخل الإنسان وهي مصدر أفعاله وحركاته.

(٣) إن فلاسفة الإسلام رغم تأثرهم وإعجابهم بفلاسفة اليونان لم يكونوا مجرد ناقلين أو شراح فحسب، بل كان لهم أثرهم الواضح واستقلالهم الفكري الذي ألبسوه لباس العقيدة الدينية.

(٤) إن أغلب فلاسفة الإسلام أخذوا برأي أرسطو في تعريف النفس، لكنهم خالفوه في فهم الكمال.

(٥) إن مسألة وحدة النفس قال بها فلاسفة الإسلام، فالنفس واحدة وإن المتعدد هو قواها، وكذلك فلاسفة اليونان.

(٦) إن القول بخلود النفس أمر آمن به فلاسفة الإسلام جميعاً لم يخالف منهم في ذلك أحد.

(٧) إن لفلاسفة الإسلام في النفس آراء أثبت العلم صحتها، الأمر الذي ينهض دليلاً

على مدى أصالة فكرهم ورجاحة عقولهم.

وبعد ... فهذه لمحة سريعة اتضح من خلالها حقيقة النفس في القرآن الكـــريم، الفكر الشرقي القديم، وعند الفلاسفة.

والله أسأل أن يهدينا سواء السبيل، وأن يجنبنا الزيغ والضلال، إنه سميع مجيب، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.

١) الأدب والدين عند قدماء المصريين، أنطوان ذكري، دار المعارف، الطبعة الأولى ١٩٢٣م.

٢) الأديان القديمة في الشرق، د. رؤوف شلبي، دار الشروق، ط٢/١٩٨٣م.

٣) الأديان في القرآن، محمود بن الشريف، مكتبة عكاظ، بدون.

٤) الأساس في التفسير، سعيد حوى/ دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

٥) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام، د. علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر، ط٣/١٩٨٣م.

٦) الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، لمقاتل بن سليمان، دراسة وتحقيق د. عبد الله محمود شحاتة، الهيئة المصرية للكتاب، بدون.

٧) أضواء على الفلسفة اليونانية، د. صلاح عبد العليم، ط/دار الطباعة المحمدية.

٨) أضواء على النفس البشرية، د. عبد العزيز جادو، دار المعارف، القاهرة، بدون.

٩) الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، دار العلم للملايين، ط٦/١٩٨٤م.

١٠) الإنسان في ظل الأديان، د. عمارة نجيب المكتبة التوفيقية، ط ٢ بدون.

١١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي، تحقيق: عبد الحليم الطحاوي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣١٢هـ/١٩٩٢م.

١٢) تاريخ الفكر الفلسفي، د. محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٤م.

١٣) تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، د. محمد علي أبو ريان، ط٤/١٩٨٠م.

١٤) تاريخ الفلسفة العربية، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، ط٢/١٩٧٢م.

١٥) تاريخ الفلسفة العربية، خليل الجر، حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط٢/ ١٩٨٢م.

١٦) تاريخ الفلسفة اليونانية، تأليف/ أميل برهييه، ترجمة: جورج طربيش، دار الطليعة للطباعة والنشر ١٩٨٧م.

١٧) تاريخ الفلسفة اليونانية، د. عوض الله حجازي، د. محمد السيد نعيم، دار الطباعة المحمدية، القاهرة.
١٨) تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٣/١٩٥٣م.
١٩) تاريخ المذاهب الإسلامية، للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
٢٠) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرزولة، للبيروني، عالم الكتب، بيروت، ط٣.
٢١) التدين في الشرق القديم، د. عبد الستار مختار.
٢٢) التعريفات، للجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٢٣) تفسير أبو السعود – إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار التراث العربي، بيروت.
٢٤) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١/١٤١١هـ/١٩٩٠م.
٢٥) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بدون.
٢٦) التفكير الديني في العالم قبل الإسلام، ترجمة وتعليق د. عبد الرؤوف شلبي، دار الثقافة، الدوحة، بدون.
٢٧) التفكير الفلسفي في الإسلام، أ. د. عبد الحليم محمود، مكتبة الأنجلو المصرية.
٢٨) تناسخ الأرواح، مصطفى الكيك، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٨٣م.
٢٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بدون.
٣٠) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي/ دار الكتب المصرية/ القاهرة ١٣٨٤هـ- ١٩٩٤م.
٣١) حاشية الجمل على الجلالين، للشيخ سليمان الجمل، المكتبة الإسلامية، بدون.
٣٢) حقيقة الإنسان الكتاب الثاني، د. عيسى عبده، أحمد إسماعيل يحيى، دار المعارف، ط٢، بدون.

٣٣) الحكم والأمثال عند قدماء المصريين، كمال محرم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون.
٣٤) خصائص النفس الإنسانية في القرآن، د. جبر عز الرجال، مكتبة الإيمان، المنصورة.
٣٥) الخلود في التراث الثقافي المصري، د. سيد عويس/ الهيئة المصرية العامة للكتاب/ مكتبة الأسرة ١٩٩٩م.
٣٦) دراسات في الفلسفة الإسلامية، د. محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١/١٣٨٥هـ/١٩٦٦م.
٣٧) دروس في تاريخ الفلسفة اليونانية، د. إبراهيم مدكور، يوسف كرم، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٤٩م.
٣٨) الديانات القديمة، للشيخ محمد أبو زهرة، المكتبة الأزهرية.
٣٩) ديانة مصر القديمة، أدولف أمان، ترجمة د. عبد المنعم بكر وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون.
٤٠) الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، د. محمد عبد الله دراز، دار العلم، الكويت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٤١) الدين والفلسفة والعلم، د. محمود أبو الفيض المنوفي، دار الكتب الحديثة.
٤٢) رسائل الكندي في النفس، للكندي، تحقيق: محمد عبد الهدي أبو ريدة، دار الكتب المصرية.
٤٣) الروح، لابن القيم، تحقيق: كمال الجمل، ط/مكتبة الإيمان، المنصورة، بدون.
٤٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي، دار الفكر للطباعة والتوزيع ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٤٥) سنن أبي داود، للإمام سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
٤٦) صحيح الإمام مسلم ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري/ دار إحياء التراث العربي، ت: محمد فؤاد عبد الباقي
٤٧) صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري/ دار طوق النجاة

ت: محمد بن زهير بن ناصر.
٤٨) طبقات المفسرين، للداوودي، دار الكتب العلمية.
٤٩) العقل منبع الحكمة، د. عبد العزيز جادو، دار المعارف، القاهرة، بدون.
٥٠) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، للإمام سليمان بن عمر بن منصور العجيلي، دار المنار، القاهرة، بدون.
٥١) فجر الإسلام، أحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٥٢) الفكر الشرقي القديم، سلسلة عالم المعرفة.
٥٣) الفكر الفلسفي في الإسلام، أبو ريان.
٥٤) فلسفة ابن سينا، تحليل ونقد. محمود ماضي، دار الدعوة، بدون.
٥٥) الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق، لإبراهيم مدكور.
٥٦) الفلسفة الإغريقية، محمد غلاب، مطبعة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة
٥٧) الفلسفة الشرقية، د. غلاب، دار ومكتبة بيبليون.
٥٨) الفلسفة العامة وتاريخها، د. محمد غلاب.
٥٩) الفلسفة في المشرق، بول ماستيون، ترجمة/ محمد يوسف موسى، دار المعارف، القاهرة.
٦٠) فيدون في خلود النفس، ترجمة/ عزت قرني، مكتبة الحرية، ط٢.
٦١) قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة / محمد بدران، دار التأليف والنشر والترجمة.
٦٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، لبنان، بيروت، بدون.
٦٣) كناش في الفلسفة، أمين الخولي، مطبعة أبي الهول ١٣٥١هـ/١٩٣٢م.
٦٤) الكندي فيلسوف العرب، أحمد فؤاد الأهواني، دار الشعب.
٦٥) لسان العرب، لابن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي/ دار المعارف، القاهرة، بدون.
٦٦) لمع اليقين في الكشف عن مناهج الفيضيين، محمود أبو الفيض المنوفي، دار العالم الإسلامي ١٩٥٣م.
٦٧) الله، لعباس العقاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م.

٦٨) مجمع البيان في تفسير القرآن، للإمام الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، خرج حواشيه وشواهده/ إبراهيم شمس الدين/ منشورات محمد علي بيضون/ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٦٩) محاضرات في الفلسفة، د. عبد العزيز عبيد، دار الاتحاد.
٧٠) محاضرات في الفلسفة الشرقية والإغريقية، د. محمد خليل هراس، دار الأنوار ١٩٦٣م.
٧١) محاضرات في علم الكلام، د. محمد عيسى زكريا.
٧٢) مختار الصحاح، للإمام الرازي، دراسة وتقديم/ عبد الفتاح البركاوي، دار المنار، بدون.
٧٣) مدخل إلي الفلسفة، د. إبراهيم يوسف النجار، دار النهضة العربية للطباعة.
٧٤) مذكرات في التوحيد، صالح شرف.
٧٥) مذكرات في الملل والنحل، د. محمد شلبي شتيوي.
٧٦) المستدرك لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي النيسابوري/ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ط١/ ١٤١١هـ – ١٩٩٠م/ ت: مصطفى عبد القادر عطا.
٧٧) مسند الإمام أحمد، للإمام أحمد بن حنبل/ دار الفكر/ بيروت بدون تاريخ.
٧٨) المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية، أودلف لبجين، ترجمة/ عزت قرني.
٧٩) معالم التنزيل، للإمام البغوي، إعداد وتحقيق: خالد عبد الرحمن العك، مروان ثوار، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٨٠) معالم الطريق إلي الله، سيد قطب، دار الشروق ١٩٧٣م.
٨١) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، شرح وتعليق د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١/ ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٨٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، بدون.
٨٣) معجم اللغة العربية المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم سنة ١٩٩٤م.
٨٤) مقارنة الأديان – الأديان القديمة، الشيخ/ محمد أبو زهرة، المكتبة الأزهرية.

٨٥) مقدمة في الفلسفة العامة، د. يحيى هويدي، دار النهضة العربية ١٩٧٩م.
٨٦) الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق: أمير علي مهنا، دار المعارف، بيروت.
٨٧) من رسائل الكندي إلي المعتصم بالله في الفلسفة الأولى، للكندي، تحقيق: د. أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية.
٨٨) من شرح أشعار الهزليين، للسكرى، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٦٥م.
٨٩) موسوعة الفلسفة، د. عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات، ط١/ ١٩٨٤م.
٩٠) النجاة، أبو علي ابن سينا، مطبعة السعادة.
٩١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجود والنظائر لجمال الدين أبي الفرج الجوزي، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الرضا/ مؤسسة الرسالة– بيروت ط٢، ١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م.
٩٢) نظرية النفس عند ابن سينا والغزالي، د. جمال رجب سيد بي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠م.
٩٣) النفس، أرسطو طاليس، ترجمة د. عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٤م.
٩٤) النفس الإنسانية في القرآن الكريم، إبراهيم محمد سرسيق، مطبوعات تهامة، جدة، السعودية، ط١/١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٩٥) النفس والعقل، د. محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية.
٩٦) النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبي الفرج الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.
٩٧) اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، د. فرج عبد الباري، دار الوفاء، المنصورة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥٥٩
إشكالية البحث	٥٦٠
أهمية الموضوع وأسباب اختياري له	٥٦١
أهداف البحث	٥٦٢
منهج البحث	٥٦٣
خطة البحث	٥٦٣
وأما التمهيد فقد خصصته عن تعريف النفس في اللغة وما يدور حولها من معاني	٥٦٥
الفصل الأول: النفس في القرآن الكريم	٥٧١
المبحث الأول: معنى النفس كما جاءت في القرآن الكريم	٥٧٣
المبحث الثاني: تقسيم القرآن الكريم للنفس	٥٨٢
الفصل الثاني: النفس والروح	٥٨٩
المبحث الأول: هل النفس والروح شيء واحد أو أنهما متغايران.	٥٩١
المبحث الثاني: قدم النفس وحدوثها.	٥٩٥
المبحث الثالث: بقاء النفس.	٥٩٧
الفصل الثالث: النفس بين الفكر الشرقي القديم والفلسفة	٦٠١
المبحث الأول: النفس في الفكر الشرقي القديم	٦٠٣
المبحث الثاني: النفس عند فلاسفة اليونان	٦١٧
المبحث الثالث: النفس عند فلاسفة المسلمين	٦٢٨
الخاتمة	٦١٣
ثبت المصادر والمراجع	٦٣٨
فهرس الموضوعات	٦٤٤